Hosted by Flesh Eaters
محمود إمام
في ضيافة
آكلي اللحم
+16 لأنها شديدة الدموية

محمود إمام

رواية

في ضيافة آكلي اللحم

الحقبة الأخيرة

سما
للنشر والتوزيع

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

بسم الله الرحمن الرحيم

في ضيافة آكلي اللحم

محمود إمام

الطبعة الأولى: سبتمبر
1440 هـ - 2019م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
دار الكتب المصرية
في ضيافة آكلي اللحم
إمام ، محمود
القاهرة: سما للنشر والتوزيع، 2019
168 ص؛ 13,7×19,5سم
أ. العنوان
رقم الإيداع: / 2019
تدمك 978-977-781 -

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار «سما» للنشر
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير
أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

سما للنشر والتوزيع

دار سما للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة
تليفون: 24517300 202+ - 01271919100 2+
email: samanasher@yahoo.com
Web-site: publishing@sama-publishing.com

التنفيذ الفني
دَرَجْ
للاستشارات وخدمات النشر
ali@daraj-eg.com

في ضيافة آكلي اللحم

محمود إمام

الإهداء

محمود إمام

فتحت الصحفية الشـــابة مسجلها الذي يتواجد عبر برنامج خاص داخل هاتفها المحمول، باهتمامٍ شديد وضعته جوارها على ذلك المكتب الوثير, داخل مكتب الأخير, لقـــاء صحفي مع الدكتور الكبير (إيهاب لطفي) الذي قام لتوه باكتشـــافٍ مذهل حول الأرض المجوفة, كشف عن قيامة برحلات عجيبة, وتلك كانت أكذوبة هو يعلمها ويدركها, لقد أخذ جميع المعلومات من أحدهم, ونســـب كل شيءٍ إلى ذاته, انهالت عليه اللقاءات الصحفية من كل صوبٍ واتجاه, أصبح ما بين يومٍ وليلة حديث الوطن العربي بأكمله, قالت الصحفية بكل اهتمام:

- نرحب بالطبيب الشهير (إيهاب لطفي).
- أهلًا بكِ في مكتبي.
- نود طرح بعض الأسئلة المتعلقة برحلتك الأخيرة.
- اطرحي.. على الرحب والسعة.
- تنحنحت وهي ترمق الورقة التـــي صنعتها البارحة المملوءة بأسئلةٍ عديدة, قالت بهدوء:
- أولًا وفي بداية الأسئلة, يشملني فضول عارم من أجل معرفة؛ هل هناك بالفعل كائنات فضائية؟ وهل توجد حياة خارج كوكبنا بالفعل؟

- أرفض تمامًا قولك بأنهم مخلوقات فضائية, غيرى صيغة السؤال, وقولي: هل هناك أنواع أخرى من فصيلتنا خارج الكوكب؟

تبتلع ريقها في حرجٍ واضح, وهي تنصت إليّ, وهو يتحدث بكل غرورٍ وكبرياءٍ كاذب:

تلك المخلوقات, سوف نلقبها بفصيلٍ آخر من البشر, أكثر تطورًا منا بمراحل عديدة, كل فكرة خطرت على بالنا تحققت في المستقبل البعيد, فمثلًا في الماضي كان كل مواطن يتمنى ويبالغ في أمانيه، أن يحمل تليفون في يده صغير الحجم, يمكنه إيصاله بالعالم أجمع, كان الأمر عبارة عن فكرة حمقاء مستحيلة التحقق منذ اختراع الهاتف, ومع التطور ومرور السنوات, قمنا باختراع ما يفوق قدرات أماني ذلك الشخص, اخترعنا هاتفًا صغيرًا يمكنه أن يصبح نفسه العالم أجمع.

ذلك صحيح بالفعل!

لا أجد من حوارك هذا سوى العبث, سوف تأخذين ذلك التسجيل وتقومين بكتابته كي يطبع وينشر بالجرائد, تكنولوجيا المستقبل أبسط من كل تلك الأمور المعقدة, فذلك الهاتف يمكنه تصوير صوت وصورة بالحركة وبدقة مدهشة, يمكنه أن يحل محل الأدوات السينمائية المتطورة الكبيرة, يمكننا صنع فيلم طويل عبر أحد الهواتف.

أسرعت الصحفية تتساءل:

- السؤال هنا؟ لماذا لقبهم العالم أجمع بالمخلوقات الفضائية؟

- لأن ذلك العالم مغرور, ويختزل العلم لنفسه, ويفتخر بغروره, وينكر أن هناك من يستطيع صنع الآلة الحديثة سواه.
- لا أفهم؟
- هؤلاء كانوا بشرًا متطورين بلغوا من العلم ما يمكنهم من العودة إلى الماضي البعيد, يعودون لنا, ويأسسون لهم منشآتهم الخاصة, هل استمعتِ إلى مقولة (سرعة الضوء) بالطبع تعلمين تلك المقولة, سوف تتحق بالمستقبل البعيد, الرحلات الكونية تصبح سهلة للغاية في المستقبل البعيد, وتلك التقنية يمكنها العودة إلى الماضي, من خلال سرعتها الفائقة.
- يبدو من حديثك أن تلك الكائنات مستقبلية.
- أرفض جملتك الأخيرة (كائنات) ذلك هو إنسان المستقبل, الأكثر تطورًا وتحضرًا.
- ولماذا عاد إلى الماضي؟
- عاد إلى الفضول ليس أكثر, كي يرى البذرة الأولى للبشرية, أنت ألا ترغبين في العودة إلى الماضي لرؤية جدك الكبير.
- بالطبع.
- هم كذلك, عادوا إلى الماضي كي يحكموه, أو عاد البعض منهم, يمكنه استخدام تكنولوجيته للسطوة والقوة ولكنه لم يفعل.
- عاد من أجل ماذا إذًا؟
- الاتفاق مع الحكومات المختلفة من أجل حكم العالم أجمع في المستقبل؟

- هم بالفعل يحكمون المستقبل؟
- لم تفهميني بعد, مجموعة يمتلكون التكنولوجيا الكافية التي كانت متوفرة بكميات وفيرة بالمستقبل, ورحل عن عالمه وتبعه آخرون بالتكنولوجيا الحديثة المستقبلية, من أجل احتلال الماضي, أو احتلال حكومات للماضي.
- تقول أن تلك المجموعة الهاربة تريد احتلال الماضي, فلماذا لم تحتلها إذًا, وهم بالفعل قادرون على ذلك الأمر؟
- روسيا وأمريكا خضعا لهم, وهذا هو الأهم, إخضاع أكبر دولتين في العالم من حيث القدرات العسكرية المهولة يعد من أكبر المكاسب لتلك المجموعة الهاربة من المستقبل، هم أذكياء جدًّا, أذكياء, فكل تلك التكنولوجيا التي نملكها في العصر الحديث أتت منهم.

بسطت الصحفية حاجبها في دهشة قائلة:

- أتقول أن الهواتف والأجهزة الحديثة اكتشاف أخذناه من الفضائيين؟
- ليسوا كذلك, قلت لكِ جنس بشري مطور, نعم بالطبع, ونحن الآن في انتظار.
- انتظار ماذا؟
- الحرب الكبرى.
- هل سيحتلوننا؟
- تلك الحرب بيننا وبين أنفسنا من أجل تفريغ العالم من جنسنا, ومن أجل سطوتهم, يجب أن نبيد أنفسنا بأنفسنا.

- وماذا هم يفعلون؟
- ينتظرون!

❊❊❊

- «لقد اختفي الرائد (جلال الدين) أثناء عملية اســـتطلاع داخل الصحراء الغريبة».
- قالها أحد الضباط الصغار لقائد الدفعة داخل مكتبه, اتسعت عيناه في ذهولٍ وهو يقول:
- كيف حدث ذلك الأمر؟

تردد الضابط قبل أن يمط شفيته قائلًا:

- آخر ظهور له كان أثناء حملة الاســـتطلاع الأخيرة, بعد وقوع ذلك الانفجار الذي سببته إحدى الطائرات ال19f داخل الجبل, لقد شاهده الجميع وهو يقود الطائرة قرب الجبل, وفجأة..

صمت الضابط, يحاول جمع ذاكرته ودفعها أمامه, ويترك تصديق الأمر له, قال قائد الدفعة بصرامة:

- ماذا حدث أيها الملازم؟

نظر له بتردد, يتصور رد فعله القادم، لم يلبث أن مط شفتيه قائلًا:

- اختفى!

نظـــر له القائد بصرامة وهو يحني حاجبيه, قال وهو يشـــير إليّ بإصبعه:

- لا يوجد كلمة (اختفى) داخل قاموس الجيش يا هذا!
- هذا ما حدث.. أقسم لك.

- هل رآه الجميع يختفي في الأفق؟
- لم يختفِ في الأفق.

وقف القائد واتجه صوبه, يصوب نظراته إلى عينيه مباشرةً قائلًا بصرامة حازمة:

- ماذا حدث؟

قال بتوتر وبنبرة شاب تخلى عن كونه عسكريًّا:

- بعد ذلك الانفجار الذي دوى داخل الجبل, اخترقت طائرة الرائد (جلال الدين).. أو ذهبت إلى مكان الانفجار.
- ثم؟
- ثم تلاشـــت وكأن الجبل ابتلع الطائرة, والأمر الأكثر خطورة تلاشي معالم الانفجار تمامًا وكأنه لم يكن.
- هل ابتلع الجبل طائرة الرائد (جلال الدين)؟
- هذا ما حدث.

أسرع القائد يتمسك بسماعة الهاتف, أجابه أحدهم, قال القائد:

- أعطني آخر التســـجيلات التي أجراها الرائد (جلال الدين) مع زملائه فورًا.

❊❊❊

اجتمع القادة داخل غرفة كبيرة, وأمامهم شاشة عرض كبيرة, داخلها برنامج مسجل الأصوات الأخيرة, المحادثات الأخيرة التي أجراها قادة الطائرات مع بعضهم البعض قبل اختفاء الرائد، التي جاء بها..

(جلال الدين) يقول:

- السرب الأول.. هل ترى شيئًا؟

أحدهم يقول:

- فقط فجوة كبيرة, مثل الثقب داخل الجبل.

(جلال الدين):

- أراها أنا أيضًا.

أحدهم:

- لماذا لم ينهار الجبل؟ تلك الفجوة كفيلة بتدميره.

(جلال الدين):

- لا أدري, تبدو كبوابة أقرب إلى فتحة أحدثها الانفجار.

أحدهم:

- ماذا تقصد؟

(جلال الدين):

- تبًّا.. ماذا أرى؟

أحدهم:

- قل لنا.. ما الذي تراه؟

(جلال الدين):

- شيء لا أستطيع وصفه؟

أحدهم:

- لا تقترب أيها الرائد, راقب من بعيد فقط.

(جلال الدين):

- لا أستطيع, ما أراه عجيب, ذلك اكتشاف.

أحدهم:

- لا تقترب يا جلال, أنت ستخترق الجبل والفتحة يا رجل.

(جلال الدين):

- ليست فتحة بل هو شيء آخر!

أحدهم:

- طر بالقرب منها، نفذ الأوامر.

(جلال الدين):

- لا تقلق.. لا تقلق.

قطع الاتصـــال, ينظرون إلى بعضهم البعـــض, ثم قال قائد تلك الدفعة:

- يقولون أنهم رأوه يخترق الجبل, واختفت الفتحة, بل واختفت الطائرة وكل شيء.

قال نائب رئيس الوزراء:

- أرجو أن يظل ذلك الاجتماع سريًّا, ولا يخرج فيما بيننا، وحتى هؤلاء الضباط الصغار, أبلغوهـــم أن الرائد (جلال الدين) قد وجدناه وبعثناه إلـــى الخارج, أو يمكنكم قول بعثناه للخارج من أجل الدراسة.

قال قائد الدفعة:

- وأهله يا سيادة الوزير؟ ماذا سنقول لهم؟

قال ببساطة:

- قل لهم أيضًا ذلك الخبر، وسوف نبحث عنه بطريقتنا.

وانفض الاجتماع.

تساءل البعض؛ أين ذهب الرائد (جلال الدين) حقًّا؟

❊❊❊

ضرب ذلك الرجل الذي يعمل في شركة لحفر الآبار البترولية بيده على تلك المنضدة التي تستكين داخل منزله الوثير, وهو يضع يده اليمنى على عينيه معبرًا عن الألم من ذلك الخبر, الذي سمعه منذ قليل، بيده اليسرى وعبر سماعة الهاتف, لو أنصتنا قليلًا سنجد صوت أحدهم يقول بنبرةٍ غاضبة, تبدو أنثى تقوم بتوبيخه, أو تقوم بالصراخ والبكاء معًا, قال بنبرةٍ لا تخلو من الحسرة:

- قلت لكِ آلاف المرات أن تكف عن العمل وتستكين داخل منزلها, إصرارك على أن تعمل, وبشتى الطرق هو من جعلنا نفقدها.

الصوت أصبح مسموعًا, صوت امرأة كبيرة تقول:

- ابحث عنها جدها.

تركها تثرثر وأبعدها عن أذنه ثم أغلق الهاتف بغضب حتى كدنا نستمع إلى اصطكاك الهاتف وكأنه تحطم بالفعل, بركان من الغضب والحزن اجتمعا معًا داخله, بعدما اختفت زوجته, أثناء قيامها بعملها, زوجته التي تعمل في مجال الهندسة, ذهبت إلى الصحراء هي وطاقم عملها, زوجته التي أصرت على أن الزواج لم يكن ينهي عملها, التي تعب من أجلها والداها, بعدما قاما بتعليمها حتى أصبحت عالمة في

مجال الهندسة, ولن تترك تلك النجاحات وغلقها بالزواج, وضعت عقدًا وهميًّا من أجل إتمام الزواج.. (سوف أعمل).. قبل على مضض, بعدما كانا زميلين داخل العمل, وها هي الآن تختفي أثناء طلعة استكشافية داخل الصحراء, يمكننا القول أن الصحراء قامت بابتلاعها هي وطاقم العمل بأكمله, فقط بحثوا عنهم في كل قطعة من الصحراء, لقد أشارت لهم الإحداثيات بموضعهم, وفي المكان نفســـه, اختفى الطاقم, كيف هذا؟ لا يدرون ولا يعلمون، كيف حدث ذلك الأمر؟

لقد ســـب أبويها - وهو يعد حقيبته - اللذين أصرا على أن تعمل فتاتهما, حصادهما في الدنيا, يدرك خطـــورة العمل, ومن أجل ذلك الأمر اقترب من الشـــيء المحصن, هو رفضـــه لعملها, وها هي الآن اختفت, لقد حمل أبويها كل اللوم, وقـــد حمله أبواها أيضًا كل اللوم, ومســـؤولية البحث عن زوجته, وها هو بعد مرور أيام وبعد ترك أمر البحث للمســـؤولين، قرر هو القيام بتلك المهمة العثرة, حقيبة كبيرة, احتضنت ظهره, وامتطى إحدى السيارات التي تقله إلى الصحراء من أجل لا شيء, ها هو الموضع الذي كان يقبع داخل الطاقم..

ثم ماذا؟

لا شيء.

***

بعد مرور أربعين عامًا

على تلك الأحداث...

أجلس داخل الزنزانة, أستند برأسي على الحائط, أراقبهم من بعيد, يمـــرون, يضعون الطعام لنا بصرامة اعتدناها, نحن المســـاجين! لا يبالي أحد بنا مطلقًا, هناك أحد الجنود, ينظر نحوي باحترامٍ واضح, يحاول اكتشافي ولا يسمحون له بالطبع, حاول تقديم الطعام أكثر من مرة, ثم يذهب بخفة قطٍّ صغير, خشـــية أن يعاقبه أحد الجنود الأعلى منه رتبة, أنظر له ولا أكترث, فقط استسلمت لمصيري, وها أنا أجلس وأراقب هذا الذي يضع الطعام بفمه, ويمضغه بفكه الضعيف الواهن, يلطخ لحيته ســـائل أبيض لا أدرى كنهه, لا نعلم مصدر ذلك الطعام, لكني لا أتناول ســـوى القليل من الأرز والخبز الجـــاف, والقليل من الخضروات, ذلك لو تذكرون وضع لنا يوميًّا, الزنازين الحديدية مقتربة من بعضها البعض, لا يوجد حوائط, فقط هي أسياخ حديدية, تطوف حولنا, وتفصلنا عن بعضنا البعـــض, ثلاثة أعوام! أقبع هنا منذ ثلاثة أعوام, لا يســـمحون لنا بالخروج إلى الساحات, فنستمع إلى الصراخ, صراخ يأتي من خلف أسوار السجن, رذاذ الدماء يأتي إلينا من الخارج, قال أحد الجنود ذات مرة, أن المســـاجين هنا في أمانٍ من الخارج.. لم أتساءل, فأنا أدرك ما حدث منذ البداية, وتقبلت اللوم بالكامل! أعلم من

يقودنا, يقود الدولة بأكملها! أعلم من يدير اللعبة بأكملها! قال سجين بالزنزانة التي كانت على يميني:

- لماذا لا يقضون علينا لنستريح من هذا العذاب؟

ابتسمت في سخرية قائلًا:

- أتريد الموت؟

قال في يأس:

- جميعنا سـنموت قريبًا, أريد العجلة فقط.. أريد أن أنتهي من هذا العذاب الأبدي..

يلتفت نحوي بكل صرامة ويكمل:

- لا أرى سببًا في أن تستيقظ باكرًا وتمارس التمارين الرياضية, ستتعفن هنا.

قلت في جدية يشوبها السخرية:

- لم أصل إلى مرحلتك بعد, لم أفقد الأمل بعد.

يقول في ضيقٍ أكثر:

- سـوف تصل إلى مرحلتي, عندما تتجاوز فترة سجنك الاثني عشر عامًا.. حتمًا ستصل وتفقد الأمل, وتفقد أوصالك, وتصبح عضلاتك واهنة مستسلمة، تتمتع بالضعف وتسترخي بالوهن وتسكر بمخمور الكسل.
- عندما يحين ذلك الموعد, سـأظل أذكرها كي تسـتفيق من الخمول.

تغيرت ملامحه للفضول ثم قال:

- هل تفكر بالهرب؟
- ولمَ لا؟

رجع جمجمته إلى الخلف, ثم ابتسم, لم يلبث أن قهقه ضاحكًا, ثم قال:

- أتتني فكرة مماثلة بعد أن مضى ثلاث سنوات من سجني! أصبت بعدوى الأمل، أتعلم حاولت الهرب مرارًا! ذلك السجن محكم, يفقدك الأمل في الحياة، ويجعلك تتمنى الموت.. لا تحاول, أنا لك ناصح, لا تحاول الهرب, فقط مت داخل الصمت، واجعل الأمل وسادة نم فوقها فقط.. ووو.
- لا أكترث له كثيرًا, وأنا أقوم بتمارين الضغط, اعتدت نظرات الفضول المطلة من عيونهم, يرددون بداخلهم, ما الفائدة؟
- حقًّا؟
- ما الفائدة؟!

❊❊❊

جاء ذلك الجندي, صاحب النظرات الفضولية, ممسكًا الطعام بيده, وأحضره لي جوار الزنزانة, الزنزانة الحديدية, فتح باب الزنزانة, ووضع الطعام أرضًا, ينظر نحوي قائلًا باهتمامٍ يشوبه الخوف:

- هل أنت بالفعل جاسوس وخائن؟

انتبهت له بحزم, ثم قلت بتلقائية:

- وماذا تعتقد أنت؟

قال الأخير بلهفة:

- أرى أنك تعلم شيئًا.. سر! لا يعلمه أحد سواك وسواهم, لا يعلمه ويجهله الكثيرون!

قلت ساخرًا:

- لا يعنيني.

قل لي.. ماذا حدث هناك؟

كنت فوق الفراش الصغير، اســـتدرت نحـــوه باهتمامٍ معتدلًا في جلستي, يبدو أنه قد أرسل من قبل أحدهم، ينبغي عليا الحذر:

- قل لهم أنني متقبل عقابي يا هذا!

قال بدهشةٍ مفزعة وكأنني أوشك على الانقضاض على حنجرته:

- أقول لمن؟؟؟!! لم يرسلني أحد إليك, أقسم لك على ذلك.

انتبهت لردود أفعالـــه, التي تبرز لي مدى خوفه, ليس مني بل من القادة, من تجاوز الأوامر, هو مثلي, سجين مثلي, لكلٍّ منا نطاق محدد يسير نحوه, لو دققنا في المعنى لوجدنا أنه عبارة عن خادمٍ ليس أكثر لنا ولهم! نشـــأت صداقة بيننا، لا يعلم بها أحد, صداقة بين السجين والسجان.

❊❊❊

قال لي الجندي (طلال) بالأوضاع خارج نطاق السجن, وليته ما صرح لي بالأمر, الوضع بشع, السجن رحمة لنا كما قالوا..

فما قاله, يصعق, ويقشعر الأبدان! ويجعلك ترغب في التمسك بجدران السجن, ولا ترغب بالفرار مطلقًا, فالسجن أصبح مأوى لنا.

❊❊❊

تغيرت الطبيعة البشرية.

حتى أصبح البشر يأكلون أنفسهم بالخارج.

أين سمعت تلك الجملة؟

أين قرأت تلك الجملة؟

أين شاهدت تلك الجملة؟

لقد كانوا ينهبونها عبر الأفلام المرعبة يوميًّا, ويحذروننا مرارًا وتكرارًا, ذلك اليوم سوف يأتي لا محالة, يأتي كالكابوس.

❊❊❊

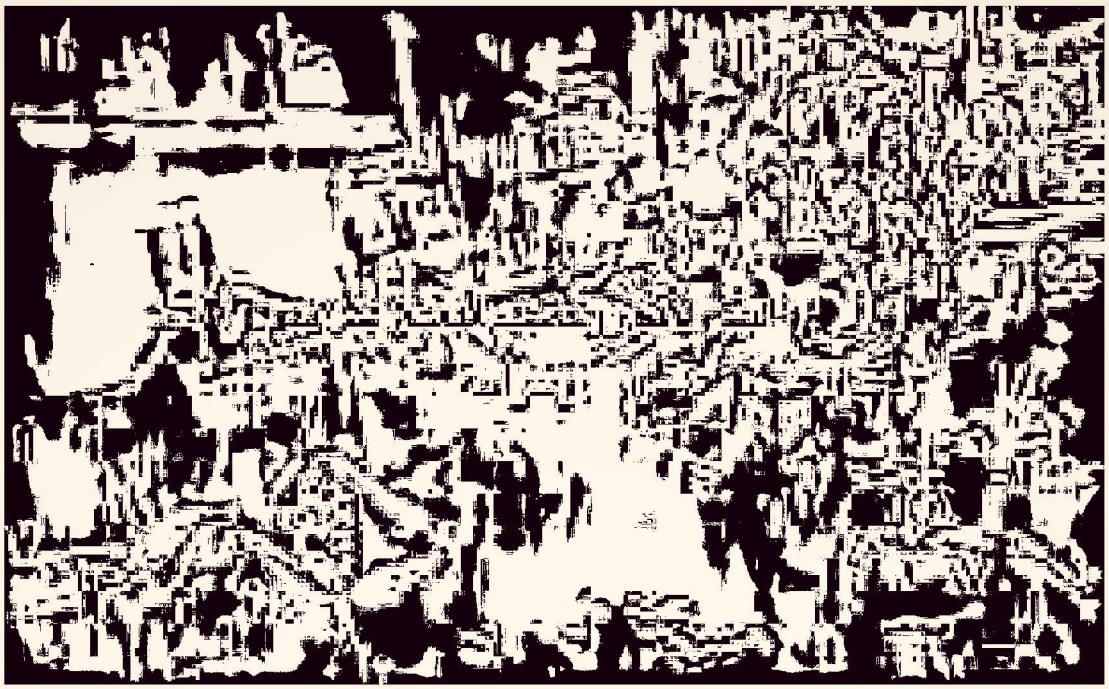

البشر في الخارج تحولوا لآكلي لحوم البشر شيء غريب!!

كيف حدث هذا الأمر؟ قابع داخل الزنزانة منذ ثلاث سنوات منذ ذلك الحادث, ذلك الحادث الذي تسبب في حبسي وسجني مدى الحياة.

قال لي (طلال) أن البشر لم يكتفوا بأكل لحومهم فقط، بل يأكلون أي لحم؛ الفئران, القطط, الكلاب, الخنازير, البقر, ذلك لو تبقى منهم أحد, يأكلون خير البلد, سرقة نهب, لا أصدق ما قاله (طلال).. الغريب أنه لم يتحرك من السجن مطلقًا منذ عامٍ كامل, ولم يرى أسرته, وأنه بالفعل يشتاق إلى زوجته, وانقطع الاتصال, لا يدري عنها شيئًا, يطمئنه المأمور أنها حية وبخير, لكنه لا يصدق، يشعر أنها في أمعاء أحدهم, وأنها غرقت في طوفان آكلي لحوم البشر, أتت الأوامر بعدم

الخروج مطلقًا خارج حدود السجن, وكأنهم بالفعل سجناء معنا.. ذلك يفسر الأمر..

إلى أن!!

الجميع سمع تلك الأصوات..

أصوات اخترقت القلوب قبل الآذان!

الصرخات الآتية من الخارج, تعكر صفو الليل, وتخترق شـــرايين الهدوء التي ننعم بها في أحضان الليل، اعتدنا ســـماع الصراخ, داخل أمعاء السجن, منعوا الأخبار, سجنوا عقولنا, عذاب متواصل لا ينقطع, حتى انتشرت أخبار, تقول أننا هنا بأمان, وأشك في ذلك الأمر برمته! الحادث الذي أودى بي إلى هنا, هو المتسبب الوحيد في كل ما يحدث في الخارج!

هنا أسرع (طلال) قبل أن يفر أعطاني شيئًا صغيرًا وقال لي:

- أيها القائد، بعد أن ينتهي كل شيءٍ سوف تجدني وسوف أجمع لك الرجال, فقط حاول أن تحيا.

***

شق صمت الجدران الصراخ, وطلب النجدة، الجميع يريدون الهرب داخل السجن.

لأنه الحصن في تلك المدينة..

قد راعوا جيدًا تحصين الســـجن من الخارج والداخل, حتى أصبح من العسير التفكير في الهرب منه, ما بالك في الولوج داخله؟ طرقات, مطالبة بالدخول, وما من أحدٍ مجيب.

وتلك الليلة!

ليلة الحقيقة.

***

قد أكل أحد عنق حارس الســـجن، بعد صراعٍ طويل، لا نشـــاهده سوى في أفلام الغرب, أطلقوا عليه النيران من كل صوب, وقاموا بدفن الحارس, ثم حدث هجوم من أفـــراد, مجموعة من الأفراد على حراس السجن, لم يتألم أحد على حسب مسمعي من هؤلاء القوم, بل استمروا فـــي الهجوم, إلى أن وصل الوضع, أن هرب المســـاجين, الذين كانوا

بالقرب مـــن البوابة, لم يهنأوا بالفرار, قابلهـــم آكلو اللحوم, وانتهى أمرهم.

أما الباقون, الذين تملكم حب البقاء مثلي.

هربنا داخل ذلك الممر الملطخ بالدماء, الذي صنعه مدير الســـجن نفسه!

كان هو القائد, الذي فتح لنا الزنازين، وقادنا نحن السجناء..

الممر الملطخ بالدماء, ممـــا أورث داخلنا الرعب وفقدان الأمل في الحياة مرة أخرى, حتى بعدما فتحت أبـــواب الزنازين! كيف وصلت الدماء إلى هنا وذلك الممر سري لا يعلمه أحد, ربما لجأ إليه الجواسيس, ولم يهنأوا بالفرار.

نرى الشمس أخيرًا.

ثلاثمائة ســـجين طلقاء, ما أن وصلنا إلى نهاية الممر, رأينا أبشع كوابيسنا.

الدماء منتشرة في كل صوب!

الأذرع هنا وهناك، وقطع اللحم البشرية تزين الممرات والأرصفة, محلات الملابس ملطخة بالدماء, ووو

الأقدام, أدمغة البشر متوفرة عبر الطرق كقطع من الطماطم داخل السوق, ذلك إن وجدناها هنا!

هؤلاء قوم يأكلون كل شيء!

رأينا بشـــرًا, يأكلون بكل شراســـة، يأكلون بعضهم البعض، كنا بالفعل داخل المأمن, لولا الهجمات المكررة على حراس المبنى لبقينا في أمان!

ولكني أفضل الحرية ومواجهة آكلي لحوم البشر على أن أقبع ذليلًا بالداخل.

وتلك لم تكن سوى البداية.

❊❊❊

صوت لهاثي يرتفع..

انفجار من هنا وهناك..

أعضاء بشرية تتطاير أمامي ورذاذ الدم منثور على وجهي, بينما أنا أركض وأركض, أنظر خلفي ثم أركض, نساء وفتيات يحاولون الهرب بأقصى طاقاتهم, شباب يحملون الأطفال ويهرعون إلى الفرار أيضًا ثم يختفون داخل أحد المنازل, ليفاجأوا بوجود آكلي اللحوم بالداخل, ولا يلتفتوا إلى الخلف مطلقًا, صوت اللهاث يتسارع أكثر وأكثر، أنفاسي أصبحت كالنيران المتصاعـــدة داخل صدري، فلا احتمال للمزيد, أود أن أرتكن علـــى أحد الحوائط الملطخة بالدماء, وألتقط أنفاســـي ثم أعاود الركض، صراخ مـــن هنا وهناك, صراخ يحمل معاناة لا تنتهي, صراخ يطلب النجدة، أنظـــر خلفي لأجدهم يطاردوني ويطاردون كل من تسول له نفسه بالفرار، أصوات الرجال تطالب بالشجاعة وسرعة الفرار، يجب أن نهرب إلى...

إلى لا شيء...

وجدتها...

سيارة..

سيارة مميزة تحملني إلى...

رصاصة تخترق قدمي, لحسن الحظ أنها اخترقت اللحم فقط ولم تؤذِ العظام, ويصعب مهمة الفرار, يجب أن أفر من هنا...

ها هي...

السيارة سأفتح بابها..

سأقودها أخيرًا...

لن يؤثر بها الرصاص, ولا هؤلاء البشر...

آكلو لحوم البشر... الذين التفوا حول السيارة كمجموعة من النمل، أحدهم حطم النافذة الخلفية، لكني لم أكترث له، أدرت محرك السيارة لأدهســـــهم، أحدهم طار بعيدًا, الآخر لا يزال متمسكًا بمقدمة السيارة رغم اندفاعي.

❊❊❊

بعد فترةٍ طويلة ما بين الاختباء والفرار والمواجهات!

أصبحت أقف بوســـط المدينة النائمة، التي تغشـــى في أحضان الظلام، المصابيح تضيء الشوارع على استحياء، الأبواب موصدة برفق والمدينة تغرق في صمتٍ مطبق مخيف، ذلك الصمت الذي لا يحمل أي عاصفة! أســـير نحو ذلك المكان, وأشعر بألفةٍ شديدة مع تلك الأجواء، محل البقالة القديم هنالك, أســـير نحوه في تعجبٍ وأنا أرى الجرائد المتراصة بعناية أعلى ذلك المكتب الخاوي من الطعام وعلب السجائر وكل شـــيءٍ, لقد أصبح ذلك المحل يحوي جرائد فقط, الأرفف خاوية تمامًا, يبدو أنه لم يقرأها أحد من قبل, الصفحة الرئيسية تحمل عنوانًا عريضًا يقول:

مقال قصير عن الحادث:

نأكل من اللحم.

بدأت الأحداث بعدما انتشـــرت ظاهرة أكل لحوم الحمير والكلاب, وأتبعها أكل لحوم القطط والفئران والحشرات والزواحف وتناقص في الثروات الطبيعية بشكلٍ مفزع, أحل أكل كل شيءٍ يحمل دماءً حية عدا لحم (الإنسان) عجز الاقتصاد, نقص حاد في الموارد الغذائية, انتشر الفســـاد بوقاحة, حتى أصبحنا نعيش في عالمٍ يلتهم بعضه البعض!

السرقة والنهب, انتشرت الأمراض المميتة في جميع القطاعات كالنار في الهشـــيم, إلى أن جاء من يكســـر قاعدة وقانون أكل لحوم البشر, بدأت الكارثة في أحد المطاعم الكبـــرى وفي أثناء تناولهم قطعة من اللحم, لاحظ اختلاف طعمه شكلًا ومضمونًا, أتت الشرطة لتجد بواقي إنســـان, وبدلًا من عقاب مرتكبي تلك الجريمة, أصدرت الدولة قانونًا جديدًا يبيح أكل فاقـــدي الهوية, (الفقراء).. وهنا أعلن الفقراء الحرب على الأغنياء بقانونٍ خفي, حظر تجول، نشبت الحرب الأولى بين البشر وبعضهم البعض، الويل لكل من يمســـنا! حرب الفناء، أصدرت الدولة قوانين يلزم البشر التزام بيوتهم عند اقتراب الشمس من الغروب.. عند الغروب, الجميع يلزم منازلهم كي يصبحوا آمنين.. أصدروا قراراتهم الخاصة، أكل اللحوم الجدد، الظلام يســـود المدينة, أتت سيارة فارهة تقع في حادث إثر سقوط شـــجرة عنوة أمامهم، يصاب أفرادها، أتت مجموعة من الفقراء تمشـــط المكان وتسرق كل شيء, حتى الأجساد المصابة, أكلت حية، وهنا لا بد مـــن عقد هدنة.. بين الفقراء وممن لا يحملوا هويات رســـمية، وبين السلطة والأغنياء، ولم تفلح، الآن الظلام أوشك على الحلول، الساعة الثانية بعد منتصف الليل، خفافيش الظلام آتية.. لتحصد غذاءها، إلى متى ستستمر الحرب, ولصالح من؟

كل ما سبق هراء!

هراء بكل ما تحمله الكلمة!

وكذب!

الحرب كانت أبشع من أن تكتب!

أخبار كاذبة حملتها الجرائد الرسمية، فما يعلمه المواطن كان أكبر وأعمق بكثير مما تقوله الجرائد وتذيعه الشاشات! فلنقل أن الأمر مجرد خدعة, وأن الكارثة الكبرى قد حدثت بالفعل.

البشر يأكل بعضهم البعض بكل نهمٍ وشراسة.

أما أنا!

تحولت إلى شخصٍ آخر مع مرور الأيام والوقت.

أصبحت رجلًا أقاوم آكلي اللحوم.

الرجل الذي يســـتحقونه.. الذي شهد على البداية والنهاية، الساعة الثانية والنصف صباحًا، المدينة تغرق في الظلام بالفعل، المصابيح الحكومية تضيء الشـــوارع على استحياءٍ كعادتها، خلت المناطق من عواء الكلاب وهروب القطط وتسلل الفئران من على الأسطح, ذلك عهد وولى, عهد كانت تتســـكع المخلوقات في الظلام تبحث عن طعامها, قبل أن تصبح هي نفسها طعامًا لبشري يبحث مثلها عن الطعام، كانت القطط تنام علـــى أبواب المباني الفقيرة مطمئنة, جوارها أحد الكلاب يلوك قطعة من عظام دجاج وضعته إحدى الســـيدات البدينات, يمرح جالسًا فوق إحدى الســـيارات ويغط في نومٍ عميق بعد التهام وجبته، كان ينظر إليه خيفة أحد الفئران الذي يبحث عن العبث, يســـرع هنا وهناك، إلى أن تلاشـــى في أحد الأزقة، أتذكر تلك المشاهد وأنا أراقب من أعلى المباني الصامتة, مشـــاهد كانت مـــن الماضي, منذ خمس سنوات كنا ننعم في رفاهية، كنا نظنها فقرًا مدقعًا, إلى أن أتت سنوات عجاف اختفى النعيم رويدًا رويدًا، وتلاشـــت قطعة اللحم من الموائد، حتى بحثنا عن البديل، اللحم البشـــري الرخيص، الآن ما زلت أراقب

السطح كعادتي, أنا حارس الظلام، لا لست مثل الحرس الرسميين, المعنيين من قبل الدولة، هؤلاء يقومون بمراقبة المارة حتى الصباح، لو عثر على أحد اللحوم البشرية آتية سوف يلتقطها ويضغط على زر الهاتف كي تأتي الهليكوبتر سريعًا تلتقط الجسد وتختفي، من ذلك الذي يجرؤ على الخروج في مثل ذلك الوقت, مثله مثل سمكة ارتمت على الشاطئ دون أدنى جهد من الصياد؟ والصياد هو حارس في حوزته بندقية مثل التي أملكها الآن، يستطيع أن يرى عبر بؤرتها ذبابة طائرة على بعد 10 أمتار تقريبًا, يستطيع رؤية كل شيءٍ ها هنا، المشهد مخيف حقًّا من هنا، وذاك الصمت وحده قاتل، ينبئ بحدوث كارثة مجهولة، الجميع داخل منازلهم خائفين جائعين، مغلقي أبوابهم ونوافذهم بالفولاذ, انقطعت الأصوات تمامًا بحلول ضيفنا الموسمي (الشتاء) الذي يصاحبه فيما مضى الأمن والدفء والسكينة والخوف, أم الآن الجميع خائف من أن يصبح غذاءً ووجبة لأحدهم، لا نظام لا قانون.. فقد ساد قانون الغاب، وإن كان هناك نظام, فذلك النظام لوحة وواجهة فقط لا أكثر, واجهة وضعت عبر حدود البلاد كي ترحب بالزوار، لا أحد يستطيع عبور المدينة، فالحقيقة المفزعة النظام أيضًا يأكل من لحوم البشر مثلنا رغم إنكاره! حتى وإن أخفى ذلك الأمر, نحن جميعًا نعلم ذلك الأمر، لنا رئيس ولنا حكومة لا بد من وجود مثل تلك الأشياء, وإلا لعمت الفوضى المكان, الشرطة تبحث عمن لا يحمل الهوية, فيصنع الفقراء الهويات الزائفة التي لا تستطيع الشرطة كشفها, أصبحت الهويات الزائفة باهظة الثمن, فلا عجب أن تسود

السـرقة ويشع الفسـاد في ظل القانون.. ما أن يفتح بابا (الخزين) الذي هو عبارة عن المؤن الصالحة لـلأكل والطعام, خاليًا من اللحم البشـري بالطبع, فيحق للجميع أكلـه ولا يفضله في بعض الأوقات, فقد الاعتياد على فعل الشـيء ورؤيته يجعله أمرًا عاديًّا, ولكن وللحق نتحلى ببعض الرتوش الإنسـانية في بعض الأوقات, فيمكنك القبض على أحدنا وإطعامه حتى يسـمن ويصبـح بالفعل غنيمة كما تفعل الطبقات الراقية, يفرح بها الفقير, من لا يسعد بوجود وفرة من لحوم الكلاب والقطط! المجتمعات الراقية النادرة تحتفظ بقطيعٍ من الفقراء, الذين يفرحون من اللحظات الأولى للقبض عليهم, على الأقل سينعمون ببعض المأكل والمشـرب القليل جدًّا حتى يصبح الموت لهم مقبول، لولا أن الجوع مسيطر هنا ولولا أن لحوم الفقراء رخيصة الثمن بالفعل لكانت أزمة لتلك الطبقات، هناك شـيء يتحرك داخل الميدان، شيء مريب حقًّا، كيف لم أنتبه؟ هنالك أحد السـكارى الذين يشبهون قلم الرصاص، يسير نحو الميدان الواسع, الملوثة أرضه بدماء أحد البشر، تترامى السيارات بعشوائية, بعضها محطم, والآخر لا يحتاج القليل من الذكاء حتى نجزم أن صاحبه قد أكل فلا داعٍ لوجود مالك لها بعد اليوم, ذلك الشـخص الهزيل للغاية حتى لتظنه شبحًا, هيكلًا عظميًّا يسير مثلًا، كيف ولج من باب منزله في ذلـك الوقت؟ ذلك إذا كان له بيتًا, يبدو أنه يعرض نفسـه للموت, وجبة لأحدهم, بعدما يئس من الحياة وأوجاعها، يستند على الحائط ويكاد يسقط.. أصوب نحوه البندقية... أراه الآن بدقة مدهشة, لا يرتدي شيئًا من الأعلى، عاري الصدر, يرتدي

بنطالًا متهرئًا، أطلقت نحوه رصاصة واحدة كفيلة بســـقوطه أرضًا، هبطت الـــدرج وحملته، فتحت غطاء البالوعة، وهبطنا ســـويًّا، دخل الأرض ليعود إلى المنطقة الهدوء من جديد.

"كيف أتيت إلى هنا؟"

كان الرجل كالمخمور، يفتـــح عينيه في خمولٍ عجيب ثم يغلقهما ليعود إلى النعاس مرة أخرى، حملته وهبطنا للأســـفل, حيث يعيش بالأســـفل مجتمع المجارير الذي أصبح يتغذى على الذي كان يحفظ في ثلاجات كبيرة ســـرقوها من إحدى المستشفيات الحكومية منتهية الصلاحيـــة, البعض يقول أنها كانت ثلاجـــات لحفظ الموتى, انتهت صلاحيات المستشـــفيات منذ ســـنتين على الأقل وأغلقت ثم أصبحت خاوية واكتفوا بمستشـــفى واحدة تترامى خلـــف (الثلاجة الكبيرة) سأطلق عنان تذكر فائدتها فيما بعد, الثلاجات رغم أنها وللحق تحتفظ بالأدوية سليمة, التي سرقناها من سكان السطح.

أرمق الرجل بغضبٍ أصفعه بخفة على خده الأيسر وهو ممدد على الأريكة الخشبية قائلًا:

- كيف أتيت إلى هنا؟

يفتح عينيه اليمنى بضعفٍ شديد, يحرك شفتيه يتمتم في ألم:

- مااااء.. أريد جررررعة من الماء.

لم يجبني بعد, أحضرت له زجاجة مياه صغيرة من ثلاجات الموتى، أقترب منه, ينظر إلى لا شيء, حاول النهوض ولم يفلح, وضعت فوهة

الزجاجة على فمه وأخذ يجرع الماء في نهمٍ بلل صدره وكأني أعطيته ترياق الحياة, أبعدت الزجاجة عن فمه, فحاول الالتصاق بها ثم نهض من نومه وكأن جرعة الماء مثل الحقنة التي يعطونها للمرضى, خشيت على قفصه الصدري من التحطم جراء تلك الحركة، الرجل بالفعل أشبه بالهيكل الذي التصق عليه بعض الجلد البشري.

قال بصوتٍ خفيض:

- أأأأ أعلم السبب فيما نحن فيه.. أأأأنا أعلم كل شيء, إنهم يبحثون عني الآن.
- أقول باهتمامٍ صارم:
- ماذا تقصد؟
- انتهاء عصر اللحم, انتهاء الغذاء الصحي.. أنا أعلم كل شيء.

ليت القوم يتعلمون من الأفـــلام القديمة، ليتهم يخبرونا بالحقيقة كاملة قبل الخوض إلى نهاية الفيلم.

- قل لي؛ ماذا تعلم في سرعة قبل نفاد صبري!

❊❊❊

في ذلـــك الوقت، الأبواب موصدة من الخـــارج والداخل كالمعتاد, أحضر الأب حساءً ســـاخنًا, ليضعه بمنتصف المنضدة الواسعة, وفي خفة ذهب ليوقظ زوجته التي كانت تغط في النوم, اســـتفاقت بتثاقلٍ شديد، ثم قالت بنبرةٍ ممزوجة بدفء النعاس:

- ماذا أحضرت؟

قال وهو يحمل ابتسامة النصر على شفتيه:

- جارنا الغبي أحضـــر فأرًا.. ورأيت باب منزلـــه مفتوحًا على مصراعيه، كان يضعه على كرســـيه في إهمالٍ داخل القفص.. ولا أدري أين ذهب حقًّا، فأدخلت يدي وأخذته ولذت بالفرار.
- أحسنت يا عزيزي.. هل قمت بسلخه وغليه و...
- نعم، لقد قمت بذلك على أكمل وجه يا عزيزتي.

وأســـرع نحو المطبخ, ثم أحضر طبقًا واسعًا يستريح الفأر داخله مسلوخًا, تتصاعد الأبخرة الساخنة تسبح من فوق, الزوجة تنظر بعجب وكأنها أول مرة ترى اللحم الطازج منذ ســـنين عدة, أخرج الفأر من داخل الوعاء وكأنه دجاجة تم طهيها, أخرجت لســـانها وجعلته يتلوى كالحية على جنبات شـــفتيها وكأنها تتأكد من وجود شفتيها, وما هي إلا بضع دقائق وأصبحت أجزاؤه داخل أمعائهما.. والحساء الخاص به أيضًا حتى لا ننسى.

نهشاه بجوعٍ.. وحرمان، وفقر واستسلام!

❊❊❊

أنظر إلى الرجل بصرامة ثم أقوم باسترجاع ذاكرتي القديمة سريعًا, كنت قابعًا كالفئران داخل المجارير, هربًا من رجال السطح, عاقدًا يديّ حول قدميّ في خوفٍ كالأطفال, أدفن رأسي داخلهما كالسلحفاة, أظهر رأسي مثلها وأنا أنظر إلى الظلام الممد أمامي, حالة الهستيريا النفور والتخبط, وإفراغ الغضب على الجدران, فعلتها من قبل, حطمت الجدران الداخلية للمجارير, وصبت الأنابيب بوجهي وحولي مياه الصرف القذرة المعتقة, أحطم كل شيء, أكاد أن أنسى من أنا وكيف أتيت هرولة إلى العالم, كنت أسير بهدوءٍ داخل أروقة المبنى العسكري, أحمل رتبة عقيد مع وسام يقع تحت يندرج تحت اسم (الدرجة الأولى) كنت ذاهبًا كي أستمع إلى وزير الدفاع شخصيًّا, اجتماع طارئ يحمل على عاتقة إحضار من هو أعلى كفاءة داخل الجهاز الأمني العريق, داخل الغرفة الساكنة, كنت أجلس وحولي ثلاثة ضباط عاقدي الحاجبين دائمًا, وكأن الأمر يستدعي عقد الحاجبين دائمًا وأبدًا، وكأننا في حالة حربٍ دائمًا لا تنتهي، الأمر الغريب وجوههم ليست مألوفة لي بالمرة، نحن هنا داخل الجهاز نعلم كل شيءٍ عن الآخر, على ما يبدو أنهم ضمن بعثة عسكرية خارجية للتدريب العسكري رفيع المستوى على يد أجهزة أجنبية, وأتوا هرولة داخل البلاد كي يقوموا بتنفيذ عملية بالغة الخطورة, على ما يبدو, أتى رجل لا يحمل أدنى هوية، يرتدي حلة زرقاء اللون وقميصًا أبيض اللون ولا يحمل أدنى (جرافات) غريب ذلك الأمر لو ابتعدنا قليلًا عن هيبته العادية التي لا تحمل قسوة العمل في

المجال العســـكري, لا يحمل شكيمة القوة العسكرية, بل على العكس تمامًا, يبدو أنه يبلغ من العمر الخمســـين تقريبًا, أصلع الرأس حليق الوجه رغم النحول، عيناه ســـوداوان، أنف دقيق، وجه لا يحمل أدنى تعبير، وكأن لم يســـلخ وجهه أبدًا تجاعيد تعبر عن المرح والصرامة, لكنه رجل مهم, بل بالغ الأهمية والنفوذ, حيث وقف ثلاثتنا عندما رأينا خلفه وزير الدفاع شخصيًّا, بعد الوقفة الرسمية, والتحية الدائمة باليد, جلسنا كي نســـتمع ونصغي لما سوف يقوله الرجل الغريب، يجب أن يستدعي الأمر رجلًا غريبًا, يحمل توقيعًا مملًّا, أنا هنا كي أبلغ عن أمرٍ خطير للغاية, ووحدي فقط أعلم الأمر, سمح له وزير الدفاع بالحديث قائلًا:

الأمر الذي استدعاني للحضور ها هنا فورًا, قد علمت بوجود جاسوس سوف يغير مسرى الأحداث في البلاد، بلادكم تحديدًا بأكملها.. أعرفكم بنفسي, أنا (برايتون سافان) أبي أمريكي الأصل, وأمي مصرية تحمل الجنســـية الأمريكية, كنت أعمل من قبل فـــي الجيش الأمريكي, ذلك الجاسوس يحمل الوباء داخل البلاد, وباءًا خطيرًا ومفزعًا, سوف يدمر القشرة الســـفلية للعالم العربي بأكمله وليس وطنكم وحدكم, يعمل لصالح دولة مجهولة الهوية حتى الآن, لا ندري عنها شـــيئًا حتى الآن, ولا أريد من أحد التخمين، لا أحد يعلم شـــيئًا, كيف يتحدث إلى وزير الدفاع بتلك اللكنة المتكبرة التي تحمل قوة وسيطرة دولة غريبة؟ أكمل الرجل وهو يعقد حاجبيه في تأثر:

سـوف يقوم بعزل المجتمع, ويقسم الطبقات, ويجزئ الأجور, ثم يقوم بتوزيع الأطعمة حسب الدرجة الاجتماعية.. و...

قلت بصرامة عنوة:

تتحدث عن جاسوس يحمل منصبًا رفيعًا داخل البلاد؟!

ينظرون نحوي بلكنة اعتراضية, جميع الأفراد المتواجدين ها هنا باستنكار, مط الرجل شفتيه قائلًا بلكنة حملت الكثير من التعالي:

من أذن لك بالحديث؟!

جـاء دور وزير الدفاع الذي اندفع قائلًا متحاشـيًا غضب الرجل بابتسامةٍ مرتبكة:

العقيد (كمال حقي) من أمهر الضباط ها هنا داخل الأروقة.. فعذرًا لو...

قاطعه الأجنبي بلكنة صارمة:

لا يعنيني من هو...

ثم أشار نحوي قائلًا:

تستمع وتنفذ دون نقاش, لا تجادل!.. أفهمت؟

وكأنه لم يقل شـيئًا بالمرة, ازداد انعقاد حاجبيّ أكثر وأكثر, وأنا أدرس ملامحـه جيدًا، أول اصطدام حقيقـي بذلك الرجل الغريب, لا أدري كنهه لكن ملامحه ليست حقيقية!.. يرتدي قناعًا! ويتعرق تحته بشدة, كيف لم يلاحظ وزير الدفاع ذلك الأمر؟! تركته يكمل ويفرغ ما في جعبته, استعاد هيبته وأكمل:

ذلك الجاسوس ينتظر حدوث أمرٍ جلل وبسيط كي يتمكن من اعتلاء عرش العرب أجمعين.

قال وزير الدفاع باهتمام:

لا بد من طرح الســـؤال ها هنا!.. الجواسيس لا تفسد إلا لو اعتلت أعلـــى المناصب, لذا أخبرنا عن هويته مســـتر برايتون, لو كنت تعلم هويته الحقيقية؟

رئيس الجمهورية شخصيًّا.

صعقنا أنا ووزير الدفاع فقط!

- كيف؟

ولماذا لم يدهش أحد من الرجال الثلاثة؟!

لماذا لم تتغير ملامحهم ها هنا؟!

لو كانت بالفعل ملامحهم الأصلية.

رئيس الجمهوريـــة حكيم, منذ انتخابه عـــام 2052 وهو ودون مبالغة قضى على رؤوس الفساد أجمعها، نشر الاستقلال وحرية الرأي والإبداع، ظهر في عصره قوة الفكر وانتزاع الفقر من أحضان الفقراء، كيف يكون جاسوسًا إذًا؟

لم أتمالك صبري، فقلت لبرايتون بصرامة:

- اكشف الخدعة إذًا ولا تطل.. من الجاسوس؟

ينظر النظرات نفســـها التي تقول: "كيف تجرؤ مرة أخرى على تخطي حدودك الغريب؟"

لانت ملامحه الجامدة وقال ببساطة:

- لتحتل بلدًا ما, يجب أن تمسك بالرأس أولًا, وحينها سوف يتسنى لك أن تفعل بها ما تشاء! وذلك الجاسوس يريد الوصول...

قاطعته:

- إلـــى هيئة وزارة الدفاع مرتديًا قناع وزير الدفاع شـــخصيًّا.. وبعدها سوف يتسنى له الوصول إلى رئيس الجمهورية بحكم منصبه الرفيع.. ويقوم باستبداله, على سبيل الخيال الجامح..

أشرت إلى أحد الضباط الجالسين:

- ذلك سيكون هو الجاســـوس, مطابقًا لهيئة وجسم الرئيس, وتلك الرأس وذلك الجسد مناسبان تمامًا.. لكن السؤال هنا؛ من هو وزير الدفاع من بينهم؟

نظر الجميع إلى بعضهم البعض, ابتســـم وزير الدفاع وهو يربت على كتفي قائلًا:

- وزير الدفاع لا يرتدي قناعًا يا عزيزي.

أصابتني دهشة مختلطة بالصرامة وأنا أقول:

- تتحدث ببساطة سيدي وكأن الأمر...

أخرج شيئًا مجهولًا كان يقبع خلف يده اليمنى.. ما أن التقطه أنفي, حتى شـــعرت بخدرٍ عجيب يصيب أوصالي, ورغم أن ملامح الدهشة

ترتســـم بالفعل على وجهي إلا أن وجهي أصبح لا يحمل أدنى مشاعر تنطق، كيف؟.. الوزير خائن!!

الجميع خونة!!

أنا مصاب بشـــلل وذهول لم يظهر على ملامحي وأنا أرى الأقنعة تتساقط وتوضع أمامي..

الوزير كان الجاسوس..

هو من سمح لهم بالولوج ها هنا.

برايتون بعدما ظهرت ملامحه الحقيقية, التي احتلتها ملامح رئيس الجمهورية، يبتسم في ظفر.

ارتفع النـــداء من الهاتف الخاص بمكتب وزيـــر الدفاع, اختطفه الوزير الخائن قائلًا:

- وصل رئيس الجمهورية الآن.. أنا آتٍ لاستقباله فورًا.

ماذا تفعلون؟! نبضـــات قلبي قوية.. الأضـــواء تلمع حولي.. كل شيءٍ يغشى باللون الأبيض، اســـتمعت إلى جملةٍ أخيرة قبل الذهاب إلى الغيبوبة.. (أخبرهم أننا وجدنا الجاســـوس, وألقينا القبض عليه) كالأوغاد ينظرون نحوي في تشف, أتى الرئيس وأصيب بالذهول ومعه الحرس, لقد أطلقوا غازًا بالغرفة فغرقوا في سباتٍ عميق, نزعوا الأقنعة وألبســـوها للأصليين، وباختصارٍ شديد, وضعوهم داخل العربات, ولا أدري أيـــن ذهبوا بهم, أما أنا, فقد عقدوا محاكمة عســـكرية للخيانة العظمى, ولم أســـتطع النطق, مثل الشعور بالكابوس أو الجاثوم هو

وضعي, كل ما أفعله هو أن أحاول التحـــدث إلى هيئة المحكمة, لقد دسوا بعروقي ما يؤثر على النطق والتعبير, فأصبحت بلا حراك داخل الزنزانة بعد إصدار الحكم رسميًّا بحبسي بتهمة الخيانة العظمى لمدة ثلاثين عامًا, وقتـــل الوافد الأجنبي الذي وبالطبع وجدوا جثته الأصلية داخل الأنفاق بعد أن وصلت رســـالة من شـــخصٍ مجهول بمكانهم بالزنزانة, أصبحت أسير سجن داخل سجن, سجن جسدي, وسجن آخر حديدي, كان يدخل أحد الجنود ويطعمني بفمي, استســـلمت للوضع الحالي, سوف أموت لا محالة, إلى أن ظهر أخيرًا طبيبًا لا أعرف كيف زج هو الآخر بتلك الزنزانة الحديدية, إلا أنه كان وبحق من أمهر أطباء المخ والأعصاب آنذاك, اكتشـــف أنهم وضعوا مادة تخدر الحواس في طعامي, لم أكن مريضًا بالفعل, وعبر محاقن مهربة, استعدت القدرة على الحديث, وحان وقت الصراخ (هذا ليس الرئيس) (هذا ليس هو).. فيضحك الجميع, يضحكون ويضحكون, حادثة أكل لحمٍ بشـــري, ولا يزالون يضحكون, حادثة أكل قطة عبر الطريق من الجوع, يضحكون ويضحكون, الكلاب والفئران والتماســـيح, والســـنن تمر بلا هوادة, يضعون لي الطعام ويضحكون, اختفى الخبز سريعًا, والأرز, واللبن, والإبل والماعز, اختفت الخضروات رويدًا رويدًا.. أصبحت نادرة، الذي يملكها يملك ذهبًا, ووو.. عشر سنوات لا نعيش هنا سوى على الخبز الممزوج بالرمال والقليل مـــن الأرز، وضعوا لنا الفئران والقطط ذات مرة, نفر منها البعض, وتقبلهـــا البعض الآخر, إلى أن تقبلها الجميع ها هنا, عـــداي!.. منع الخروج من البلاد بأوامـــر عليا, حادثة خطف

الأطفال تتكرر, القبض على لص يحمل أنيابًا مثل أنياب الذئاب بسبب أكل اللحم البشري, ويكتشـــف فيما بعد أنه خاطف الأطفال وآكلهم, هروب مساجين, سلالات تحمل كراهية للمجتمع وتعشق اللحم, رجال من الشـــرطة تقوم بالقبض على اثنين منهم, والمفزع أن نهشـــوهم نهشًا, مثل الأسد الذي التقط غزالة صغيرة, ويتمتع بأكلها وسط الغابة ووســـط جميع الفصائل الضعيفة, الشعب يكره الشرطة أكثر وأكثر, من التالي؟! حصن الأناس منازلهم بالحديد والفولاذ, أغلقت الأبواب، الجميـــع أصبح خائفًا مرتعدًا وحانت لحظـــة الهرب، فجوة إثر قنبلة زمنية في أســـوار السجن.. هرب الجميع.. أعلنت الشرطة القبض على الهاربين.. ووضعت قانونًا جديدًا، اللحم البشري مباح منذ ذلك اليوم! لمن لا يحمل هوية, والهاربـــون لا يحملون أدنى هوية.. حجة مباحة وصريحة لكل اللحم البشـــري، أصبح كل شيءٍ مباحً، الجميع خائف ويشعر بالذعر، تبحث الشـــرطة عن الهاربين، لمن لا يحمل الهويات وبالهويات، أصيب الجميع بالجنون!

❊❊❊

النهاية ينتهي الأمر

خرجـــت إلى الهواء الطلق لأجد الرعب نفســـه, فليكن هو أبشـــع كوابيسي إذًا! الشوارع ملطخة بالدماء والأطراف المتعفنة، قدم طفل صغير، رأس رجل عجوز بلحية كثة بيضاء أســـفل قدمي اليســـرى مباشرةً, ينظر لي بعينين جاحظتين يقشعر لهما بدني, لولا أنه فارق الحياة لظننت أن رأسه ليســـت كذلك!.. سرت وأنا أشاهد أحد الشباب يجلس علـــى طاولة بمنتصف الطريق, يجلس أعلاها جثة فتاة, فتحت أمعاءها بغلظة ويتدلى منها أعضاؤها الحيوية, وكأنما الشـــاب يشرح أحد الجثث ليكتب تقريـــره.. كان يأخذ الكبد ويضعه بفمه كأنما هي مســـابقة لمن سيسرع في الأكل وينهشـــه في نهم, كانت فتاة بريئة, لحسن حظها أنها فارقت الحياة أيضًا, فلا يستطيع أحد رؤية أحدهم وهو يلتهمه, اقتربت من الشاب الذي كان يأكل بجنون كل ما تقع عليه يداه داخل الفتاة، ثم نظر إليّ بجنون قائلًا:

- هذه الفتاة التي كنت أحـــب! تركتنى وذهبت لمرافقة أحدهم, ها ها ها ها وجدته يحميها، وما أن رأى السكين في يدي حتى هلع وهرب, جباااااان, إنها لي.. لي وحدي.. أفهمت؟ ولن يأكلها غيري, ستعيش داخلى إلى الأبد..

المسكينة!

ضربات أفقدته الوعي.. أخذت الفتاة ووضعتها حيث مثواها الأخير، ودفنتها في أقرب مقبرة هنـــاك، جنون.. جنون، الكل أصابه الجنون،

الصديق ينهش ذراع صديقه، الحبيب يذبح معشوقتة ويشرب دماءها في لذة! الأب يقتلع رأس ابنه الصغير بسكينٍ حاد ويقوم بطهيه، كل شيءٍ مباح.. كل شيء.. لا رقيب ولا رقابة، ما تبقى من العقلاء جلسوا داخل منازلهم، لا خروج منها سوى إلى الثلاجة الكبيرة.. مبنى كبير أطلقوا عليها (الثلاجة الكبيرة)..

تحمل لهم الطعام والشراب واللحوم, الأرز والماء ولحوم الخنازير ممزوجة بلحوم الفئران والكلاب المثلجة.. وبعدها عودوا إلى منازلكم بعد دفع الجزية، وما أن تفرغ الأموال, يتم سحب الهويات بعنف، ويستباح لحمهم، الصراخ والمناجاة لا تجدي, فهنالك حلول وسط, أن يسرق من أوشك رصيده على النفاد، الأموال، الطعام, المشغولات الذهبية، الخروج إلى الساحة الساعة الثالثة عصرًا والعودة في الخامسة, أغلق الباب بإحكام حتى لا يقتحم أحدهم منزلك ويسرق ما به, لا تتأخر عن الخامسة حتى لا يأكلك أحدهم، وينهش لحمك على قارعة الطريق، لو جاع الأطفال دعهم يجوعون إلى أن تأتي الساعة الثالثة, لو مرض أحدهم دعه يموت إلى أن تأتي الساعة الثالثة, لو هنالك جريمة دعها تتم إلى أن تأتي الساعة الثالثة, الساعة الثالثة هي موعد الدواء والعمل والأكل، الساعة الثالثة هي موعد إنقاذ أحدهم من الغيبوبة والذبحات الصدرية والأزمات القلبية, فبجانب الثلاجة الكبيرة مشفى طبي حديث, ولا يدري أحد بالفعل كيف ومتى أنشئت تلك المستشفى بأحدث تقنية ووضعت وسط الخراب, مثل وردة حمراء زاهية اللون زرعها أحدهم في إحدى (الخرابات) هنالك أخبار تتطاير

من هنا وهناك, إن التطعيم الذي يدســـوه في عروق العامة ما هو إلا مادة منشـــطة على أكل اللحوم بمختلف ألوانها, مادة تثير الشـــهوة الحيوانية داخل الجسد, تحول البشر وقت الجوع إلى وحوش كاسرة, كذبها البعض والبعض الآخر صدقها وآمن بها, فقد كان أحد الكهول لا يذهب مطلقًا إلى الثلاجة الكبيرة وانقطع عنها لمدة لا تقل عن السبعة أيام, ما حدث كان مريبًـــا بعد اقتحام غرفته الصغيرة، وجدوا بها من الطعام والشـــراب الحلال الخالي من الفئران ولحم الكلاب, اقتحمت دورية تفتيش منزله, وكشـــفت خيانته، كان يحمل مصلًا مضادًّا ضد التطعيم, جعله إنســـانًا طبيعيًّا لا يأكل لحومًا أباحها الزمن, وعندما واجه أحد رجال الشـــرطة، قال بكل تبجح: "أنتم من تفعلون هذا بنا, لن أتناول تطعيمكم هذا أبدًا."

وبالفعل لم يتناوله مرة أخرى، فقد انتهى مقطعًا إلى أجزاء صغيرة وبيعت داخل الأكياس المحفوظة النظيفة, اشتراها أحدهم من الثلاجة الكبيرة, إذًا علمنا قانون العالـــم الجديد، المدينة مغلقة, لا دخول ولا خروج منها, اتبع القوانين كي تعيش لأطـــول فترة ممكنة، الجيوش تحمي القلعة الرأســـية بعد محاولاتٍ عدة لاختراقها في جنون, يظهر الزعيم من خلال شاشـــات يومية يهدد من لا يطيـــع الأوامر بالقتل المباشر, ومن يطع الأوامر ويسير خلف الحوائط في هدوءٍ، إذًا هو من المنعمين بالحماية, ومن لا يفعل، الســـيطرة المطلقة للنظام والقمع, ناقشـــها الأدباء آلاف المرات في ملايين الروايات ظهرت على شاشات

الســـينما ألف مرة, ولكن تتلف ذاكرة الشعوب النسيان, فيعيد الحكام المسيرة مرة أخرى وبشكلٍ أفظع! وبأنماطٍ مختلفة!

داخل المدينة!

أسرى المدينة.

الثلاجة الكبيرة.

المستشفى المجاورة لها.

لا جديد.

أما أنا..

فقد تحملت مسؤولية حماية البشر من أكل بعضهم البعض.. أراقبهم ليلًا.. أطلق رصاصات مخدرة نحوهم, وإن فرغت أقابلهم وجهًا لوجه، لكمات هنا وهناك، فرجال الصاعقة لا ينسون مطلقًا تدريباتهم القتالية مع العدو، فما بالك بحماية أبناء وطنه؟... فذلك الحادث الذي لا ينســـى مطلقًا من ذاكرتي.. أمام ذلك المبنـــى المهدم القديم الذي أخبرني أن تلك المدينة تتآكل رويدًا رويدًا.. كان منتصف المدينة مباشـــرةً، وقفت منتصفـــه ورأيت كمًّا هائلًا من الجثث بذلك الشـــارع الطويل, المباني مهدمة كأن أحد الطائرات قذفت بقنبلة حطمت معنويات تلك المنطقة, أهذه هي المدينة التي ولدتني أمي في أحضانها, وقد انتشـــرت ذاكرتي وتمزقت كورق الجرائد المنهكة أوراقة على إســـفلتها الذي هدمه شكل الدماء فوقه, وقفت هنيهة فوقه أراقب ما حدث لتلك المدينة, نداءات تأتي كغارات مثلها مثـــل الغارات التي كانت تتعايش في عصر هتلر النازي,

تنبـــه أو تهدد من بقوا أحياء, تقول لهـــم: "لا تفارقوا منازلكم مطلقًا, ســـوف نذيع عليكم نشرات, بدأت ســـاعات الحظر, من يخرج سوف يهلك, الزموا منازلكم, الزموا منازلكـــم" وها أنا أراقب أحدهم، يحاول نزع عمود خشبي من أعلاه, مسجى على تلك الأرض من الأحياء, هببت لنجدته, أشـــحت ذلك العمود ورآني فاطمأن, برزت أنيابة وهم نحوي, ينوي دس أسنانة في جسدي دون أن يعلم إلى أين, كانت خدعة لا بأس بها, لقد أمسكت رأســـه من شعيرات, وبخخت مسحوقًا مهدئًا ثم ذهب إلى النوم الطويل، ثم تركته وهممت بالذهاب، إلى مكانٍ لا أدري كنهه.. كنت لا أدري من أين أبدأ المقاومة، حيث اكتشفت بابًا سريًّا للمقاومة.. عالم المجتمع الســـفلي, ومن هنا بدأت بإحضار هؤلاء المصابين، بداء أكل اللحم البشري، ينتشـــون عبر الطرقات، أدخلهم داخل المجارير، حيث المجتمع الســـفلي الأعلى في إنســـانية, صنعوا الخضرة والنبات وصنعوا خبزهم الخاص, وحولوا مجرى المجارير في زاوية أخرى حتى لا يختنقوا من العفن, في البداية هربوا من آكلي لحوم البشـــر, سرقوا ثلاجـــات, ثم البذور, ثم ثم, بنوا حضارة لا تليق أســـفل الحضارة التي تليق! حضارة لا يعلمها النظام الحاكم وإلا لم يســـمح لها بالحياة خلف الأبواب المغلقة! اكتشف أحدهم مصلًا مضادًّا، مجرد أن يحقن به المرء لمرة واحدة فقط، لا يصاب بعدها بهياج وصرعة أكل اللحوم، ينتظرون حدوث ثورة بالأعلى حتى يصعدوا مرة أخرى، لكنها لا تحدث.

***

كانت مهمتي أن أحضر البشـــر من الأعلى، البشر الغير مصابين بداء أكل لحوم البشـــر، مهمتي إنقاذ ما تبقى من البشـــر الطبيعيين، وإحضارهم داخل المجتمع السفلي! لنبني حضارة, تمكننا من الصعود مرة أخرى إلى السطح.. لشن حرب! من أجل البقاء.

قررت الشمس الظهور أخيرًا بعد عتمةٍ طويلة غمرت الليل بستائره الكئيبة السوداء, ولا يســـمح لنا برؤيتها داخل المجارير، أراقب ذلك الرجل النحيل، بعدمـــا ذهب في النعاس الطويل، كان يحاول أن يحيا قبل إلقاء كلمته الأخيرة ويذهب مبكـــرًا إلى العالم الآخر, كلماته تترد على مسمعي وهو يحاول تحريك فكه بصعوبة:

- يعزلوننا عن العالم, وقد أغلقـــوا جميع المنافذ للخروج منها, سوار عازل, يجرون علينا تجربة البقاء، يريدون أن يأكل بعضنا البعض، يفرضون شريعة الغاب, بعد انتهاء عصر اللحم, الذي تبقى منا ســـوف يتغذى على الآخر، سيرمون قنبلة تفني ذلك العالم مثلما حدث في (هيروشيما) لتبيد عالمًا أصبح لا يصلح للحياة الإنسانية.. عالمًا أقرب لأفلام السينما الوحشية, وبعدها يقومون ببناء حضارةٍ جديدة، حضارتهم, حضارة ما بعد فناء عالمنا, حضارة تحمل علمهم الوحيد، وينتهي عالمنا إلى الأبد

بعدما أصيب بالدموية.. (كح كح كح) أعطني جرعة أخرى من الماء أرجوك!

أسرعت بإحضار زجاجة المياه الأخرى وأخذ يرشف منها في نهمٍ وكأنه تائه فـــي الصحراء القاحلة, بعدما ارتـــوى، أكمل وهو يحاول التقاط أنفاسه:

- العالم الذي يودون صنعه سوف ينتهي قريبًا، ينوون تحضير قنبلة الفناء، ســـوف تنفجر في الهواء, وما أن يشتمها الإنسان حتى يذهب عنه رحيق الحياة، سوف تمتص الماء الذي يحتويه جســـده إلى أن يصبح كومة لا تذكر من التراب، سيزعمون أن بلادنا مجرد وباءٍ قاتل، لا بد من تدميره, سيحرقون كل شيء, سوف ينشرون صورًا لنا ونحن نأكل اللحم البشري, مثل آكلي لحوم البشر, سيجعلوننا قمامة أمام العالم أجمع، العالم أجمع يرانا في أبشـــع صورة, وذلك أكبر دافع نحو تدمير عالمنا, ما لم يمنعهم أحد.

قاطعته بصرامة:

- ماذا نفعل برأيك؟ نحن عجزة مرضى، لا حول لنا ولا قوة.
- لا بد من فضحهم.. لا بد من الولوج إلى أبواب الرئاسة.. وكشف الخدعة برمتها.
- عن أى خدعة تتحدث؟!

- لا يحكمنا أحد.. لا يوجد أحد في السلطة, ذهبوا جميعًا خارج البلاد، وما تبقى خلفهم سوى قنبلة زمنية موضوعة داخل القصر, سوف تنطلق خلال مدة أقصاها 300 يوم على الأقل.. بعدما يأكل بعضنا البعض, لا بد من بلوغ قصر الرئاسة وبث خبر من هناك يخبر الجميع بالهرب, الهرب بعيدًا, سوف نفنى..

ثم أخرج شيئًا أشبه بالعملة من بنطاله المهترئ.. وأكمل في حماسٍ ضعيف:

- ذلك كارت مرورك إليهم.. اصطحبني معك إلى هناك وسوف أخبرك كيف يكون الخلاص.

أصابته رعشة قوية.. حتى ارتخت أعضاؤه الحيوية, وذهب إلى نعاسٍ طويل.

***

النهار يتوارى خلف ستار الليل مجددًا، أصعد إلى السطح.. مخاطرة كبرى أن تصعد ليلًا.. لو كنت شخصًا عاديًّا لارتعبت من فكرة الخروج, بعد ذلك المهرجان من الإعلانات الموضوعة على الحوائط في كل مكان.

كتبت بخطوطٍ عريضة..

خروجك يعني نهايتك..

خروجك يعرضك للموت..

خروجك كسر للقواعد العامة..

لذلك وجب عليك الاختفاء خلف بابك رعبًا.

أما أنا..

فأعيش في الخوف والظلام وخلف الظلال جرأةً، أعيش في الوحدة السكون والفوضى، أرتمي في أحضان الموت على الرحب والسعة، قناع أسود حتى لا يتعرفني رجال الشرطة الذين يقومون بالدوريات الليلية, بسياراتهم المصفحة، قناع أسود.. ورداني بالكامل أسود اللون، أسمع صرير توقف إحدى السيارات من بعيد، خلف الحائط كان مركزي، أراقب من بعيد ما حدث، فتح باب السيارة في ذلك الهدوء القاتم.. وخرج منها رجلان يرتديان الدروع المصنوعة من الفولاذ الحديدي.. أخرجا من الحقيبة الخلفية صندوقًا أشبه بالتابوت, فتحاها على مصراعيها وأخرجا شيئًا أشبه بالمصباح الكبير الدائري أبيض اللون ولكنه لا يضيء.. يحمل بالأسفل قاعدة سوداء تحمل لوحة من الساعة الرقمية، اقتربا من فتحة البالوعة الرئيسية في الميدان.. هبط أحدهما.. والآخر يسلمه إياه بحرصٍ شديد.. ماذا يفعلان؟ هل اكتشفا عالم المجتمع السفلي؟ هل كان في داخلهما نية الفتك به؟

❊❊❊

”فالرجال الذيـــن مروا أمامي وماتوا وقتلـــوا ونهش لحمهم أمام ناظريّ, كثيرون للغاية حتى اعتدت علـــى ذلك الأمر! كثرتهم جعلت ذهني ملبدًا, فلا يعنيني كثيرًا أســـماء الأشـــخاص, قـــدر ما يعنيني شـــفاءهم من حالة الهياج، إنقاذهم من أكل بني جنسهم فقط، والكف عن التهام اللحم البشري.“

لا بد أنهم وضعوه بالأسفل فقط ولم يسيروا به لمسافاتٍ طويلة.. فقط بعـــد إنزال ذلك المصباح، صعد الذي كان بالأســـفل، قد هرعوا وذهبوا بعيدًا، لا بد أن أسرع نحو تلك البالوعة فورًا، أسرعت وأسرعت.. ومددت يدي أفتح غطاء البالوعة بقوة..

"قد أتى موعد العشاء"

الصوت أتى من خلفي.

التفت لأجد رجلًا لا يوجد في وجهه لمحة لا تحمل طعنة ولا يشوبها الدماء, عيناه تنزفان دمًا.

قد نمى له أنياب من كثرة أكل اللحم مثل الأســـود, وعضلات بارزة من كثرة الالتحام مع الضحايا وآخـــر من جهة اليمين ملامحه تحمل القسوة نفسها إلا أن جسده أقل حجمًا، يقول مبتسمًا في تشفٍّ:

- ألم يخبرك أبوك أن الخروج في ذلك الوقت خطر يا ولد؟ إذًا يعتقدون أني وجبتهم الليلة.

أشرت للآخر بالتوقف وأنا أقول بصرامة:

- لو اقتربت سوف تموت بمنتهى السهولة, أحذرك!

يضرب صدره العاري مثل الغوريلا الشهيرة (كينج كونج)

(*) في سخريةٍ قائلًا:

- أنتسابق إذًا؟ من يكبل الآخر يأكله.. اتفقنا.

يضحك ضحكة جلية مثل ضحكات الضبع قبل أن يفتك بفريسته.. داروا حولي يدرسون مدى قوتي إذًا.. ما أن اقترب أحدهم حتى أطحت بوجهه كالمطرقة بيدي اليمنى, ظهرت معالم الدهشـــة على ملامحه التي حطمتها بقبضتي, وقع كالدجاجة الهشة رغم عضلاته المفتولة, أما الآخر فقد أخرج سلســـلة طويلة، لا أدري من أين، وأخذ يلوح بها أمامي.

لم أنتظـــر أكثر، أخرجت مسدســـي الصاعق وأطلقت الشـــبكة الكهربائية المضيئة, وصوبته نحوه بإتقان, حتى ارتج كيانه من قسوة الصعق الكهربائي، كان الأمر سهلًا للغاية, أخرجت المحاقن ودسستها في أعناقهم، ســـوف أدخلهم عبر البالوعة لأعطيهم ذلك الترياق الذي يمحي الرغبة في أكل اللحم البشـــري, ويهدئ حالة الصرع شيء من خلفي.. غرز أنيابه بيدي اليمنى قبل انتزاع المحقن من أوردة المسجى أرضًـــا، وقبل أن أنتبه، نزعت أنيابها كالقطة التي تحاول التهام قطعة من المعدن..

كانت فتاة(*)..

(*) بالإنجليزيـــة King Kong هو فيلم إنتاج عام 2005 وهو مقتبس من فيلم بالاســـم نفســـه، كينغ كونغ، أنتج عام 1933، من إخراج بيتر جاكســـون صاحب السلسلة الشـــهيرة The Lord of the Rings وبطولة نعومي واتـــس وجاك بلاك وأدريان برودي، وقد فاز هذا الفيلم بثلاث جوائز أوسكار ورشح لجائزة جولدن جلوب , أعيد إنتاج الفيلم عام 2017, وحمل اسم Kong: Skull Island.

بالغة الجمـــال, ضعيفة البنيان إلى حدٍّ كبيـــر وكأنها حديثة في أكل اللحوم البشـــرية، تحمل أنيابًا.. كسر أحد النابين إثر تلك العضة المتهورة.. لم تكن تعلم أن يدي مغطاة بأســـاور حديدية, احتياطات ضرورية، توقفت الفتاة وشـــفتاها تنزفان دمًا وتنظر لي بألمٍ ثم قالت ببراءة الأطفال:

- يا لك من متوحش! انظر ماذا فعلت بنابي الأيمن، أيها الوغد.
- يا لكِ من متبجحة! أتنهشين قطعة من اللحم ليست لكِ؟!
- طالما خرجت إلى العراء، فهي لى وللجميع!
- قانون من هذا؟
- ليس من شأنك!

حاولت مرة أخرى الانقضاض بشراسةٍ أكبر, أطحت بقبضتي أسفل فكها, ذلك يسبب دوارًا..

لا أحب ذلك الأمر..

لا أحب ضرب النساء مطلقًا..

ذلك لو اعتبرنا هذا المرأة أنثى عادية..

سقطت, تحاول جاهدة ألا تفقد الوعي, فقالت بصوتٍ ضعيف:

- هيا التهمني ولا تجعلني أتألم.. أرجوك.

نظرت إليها بإشـــفاق, قبل أن أدس المحقن بعنقها، وذهبت إلى النوم، أتأمل ملامحها الرقيقة وأتعجـــب، كيف تحمل كل هذا الجمال وكل هذه الوحشية معًا؟!! قلت بهدوء:

- لا مزيد من اللحم يا عزيزتي!

حملتهـــا مثلما أحمل طفلًا صغيرًا, وأنا أهبط بها داخل المجارير, أحضرت الباقين، كان الجهـــاز الذي وضعوه الآن يعمل, لوحة الأرقام تستمر بالعد، يبدو أنها هي ذاتها القنبلة التي حدثني عنها ذلك الأخير، أحضرت الأدوات المطلوبـــة بعناية، وأوقفت عملها وأخذتها بعيدًا إلى أقصى الجبال... وعدت من جديدٍ إلى هناك بالأســـفل.. كان هناك يغط في سباتٍ عميق، ذلك الشـــخص المريب الرفيع الهيئة, يبدو كمصاب بداء الأنيميا ولم يعالج، الفتاة كانت تغط في ســـباتٍ بعدما أعطيتها ذلك المحقن المعالج لحالة الهيـــاج, راقبتها بهدوء, تنحني ملامحها كالطفلة، تقـــف أمام موقفٍ مهيب محزن, أحنت وجهها, راقبت دمعة مريبة تهبط من عينها الواســـعة, ربما رق قلبي قليلًا نحوها, رغم أنها لا تأكل سوى اللحم البشـــري, أعطيتها ذلك المحقن بوريدها العنقي, واطمأننت على قيودها المعدنية, ذلك المحقن يهدئ من روع المرء ولا يمنعه سريعًا من أكل اللحم البشـــري, لكن ذلك الرفيع يستكن داخل تلك المعدة الصغيرة لها, فتحت عينيها الواســـعتين داخل وجهٍ دائري أبيض اللون أشـــبه بمصاصي الدماء, صاحبة عينين زرقاوين، يبدو أن جيناتها تنتمي إحدى فصائلها إلى العرق الأوربي, كانت تنظر إليّ متســـاءلة؛ ماذا تفعل ها هنا؟ وعيناها تراقبان ذلك المكان بأكمله, لا أعيرها انتباهًا وأنا أعد العدة لمواجهةٍ أخرى أكثر قســـوة، ولا يعنيني العودة إلى ها هنا, استمعت إلى صوتها يقول بتأوه:

- أين أنا؟ أين ذلك المكان؟

دون أن ألتفت إليها، قلت بهدوءٍ وأنا أعد الحقيبة:

- المجارير, هبطنا إلى الأسفل.

ثم نظرت إليها بهدوءٍ ساخر، وقلت:

- مرحبًا بك في مجتمع السفلي.
- لماذا أحضرتني ها هنا؟ لماذا لـــم تأكلني بالأعلى لتزيح عن كاهلي معاناة الحياة بأكملها؟
- لا آكل اللحم البشري ولم تتجمع غرائزي نحو أكل بني جنسي, لقد أعطيتك ترياقًا ســـوف يمنع شـــهوتك تجاه طعام اللحم البشري مؤقتًا.

تضحك ويتعالى صوتها داخل الأنفاق:

- وهل تعتقد أننا قادرون على منع أنفســـنا مـــن أكل بعضنا البعض؟.. لقد تعلمنا منذ أكثر من ثلاث سنوات أن الشارع لنا وأن كل لحمٍ يدب على سطحه فهو لنا.
- من علمكم؟ من أعطاكم الإذن؟
- قانون الشارع الجديد.

تصمت ثم تبكي، تترقرق عيناها بدموعٍ، كيف أتت؟! أنا لا أصدقها بالمرة وهي تقول:

- لم أكن أريد تذوق طعم اللحم البشـــري ولكنه فعلها, وجعلنا جميعًا نتشوق لتذوق طعمه.
- من فعلها؟

❊❊❊

هرعت مسرعًا نحو ذلك الهيكل العظمي الذي أخبرني بالسر، فزع من الأمر ومن كل شيءٍ حوله.. وكأنه في حلم، هيا.. لنذهب إلى هناك.. كي ينتهي ذلك الأمر أو انتهى.

***

هل أوقفت تلك القنبلة حقًّا؟!

قالها النحيل بفضولٍ رهيب! الذي لا يعنيني اســـمه, فكثرة الرجال الذين مروا أمامي وماتوا وقتلوا ونهش لحمهم أمام ناظري, جعل ذهني متبلدًا, فلا يعنيني كثيرًا أسماء الأشخاص, قدر ما يعنيني شفاءهم من حالة الهياج التي تنتابهم كلما رأوا اللحم البشـــري, فأصبحت مهمتي الغير رسمية، إنقاذ ما يمكن إنقاذه من البشر, أجبته بمنتهى البساطة وأنا أتمسك بعجلة القيادة:

- خبيـــر في المفرقعات، أجيد إيقاف جميـــع القنابل المعروفة والغير معروفة, فبعد إيقافها دفنتها أعلى الجبال البعيدة.

قال وخيل لي كأنه ممســـك بهاتفٍ خفي يخبر أحدهم بالأمر, لولا أنه لا يحمل ســـوى ملابس رخوة لظننته يحمل هاتفًا خلفيًّا لكنه ليس كذلك:

- إذًا أنت من أوقفت القنبلة.

لا أجيب.. أقود وقد انتابني القلق من ذلك النحيل، وهو لا يزال ينظر لي بفضولٍ رهيب, يأكلني بعينيه مثلما نقول في الأمثال الشـــعبية, لم ألتفـــت, ولم أعطه أدنى اهتمام, فحقًّـــا لا يعنيني كثيرًا, فصب عقلي

جل اهتمامه بإيقاف هؤلاء، من دس قنابلهم المميتة لإفناء عالمي.. أو وطني.

تحدث وهو لا يزال يرمقني ويطلق الأسئلة:

- ســـتحاول إنقاذ البشر حقًّا؟ ألا تخشـــى أن تقتل في إحدى الليالي؟ العصابات تملأ الشوارع, ألا تمل؟
- أفعل ما يمليه عليّ ضميري وحسب، إن مت فهذا قدري!
- ألا ترى أنه من الصعب عليك مقاومـــة أناس تأكل اللحم, ولا يعنيها سوى الحياة ليومٍ آخر وحسب ولا تفكر بالغد؟!

أقول بغضب:

- ألا يمكنك الكف عن الأســـئلة؟! ألا يمكنك الصمت؟ أنت تشتت تركيزى يا هذا!
- حقًّا ذلك ليس وقته, ولن ألتفت إلى النظرات المتسائلة العميقة التي تشـــبه نظرات الطفل الذي خالف أوامر أبيه, آخذ نفسًا عميقًا وأنا أحني عجلة القيادة وأتخطى بيوتًا صامتة, ناطحات سحاب غلفت بنوافذ حديدية, وكأن رجال العصابات يتسلقون الجدران الناعمة الحديدية, المدينة بالفعل تحولت لمســـرحٍ لا يرقص فوقة سوى رجال بأنيابٍ وعلى شفاهم قطرات من الدم، أراهم الآن يرمقونا بغضب, ولا يقدرون المســـاس بنا بالطبع, فالســـيارة مصفحة بطبقةٍ شـــبكية, من يرتطم بها يصاب بصاعقةٍ تصل إلى 500 فولـــت, رمقتني إحداهن وهي تضع

يديها على كتف عشـــيقها, بنظرات تقـــول: "ليتكم خارجها، فقتلتكم في تلذذ."

قلت:

- كنت أحمل رتبة عســـكرية فيما مضى, قبل اتهامي بالخيانة والزج بي في الزنزانة.

منتشٍ متحمس لقبولي إعادة تشـــغيل فاعليـــة الحديث معه مرة أخرى، قال:

- كيف؟
- لمَ لا؟ عاجلًا أم آجلًا سوف يفنى العالم، سوف أخبره..

جواسيس احتلوا وزارة الدفاع, أجروا عمليات جراحية بارعة الدقة كي يكونوا نسخًا طبق الأصل من الرئيس ووزير الدفاع.

صعق الرجل.. أو هذا ما أظهره بالفعل وهو يقول:

- حقًّا.. أنت الســـجين, لقد رأيت صورتك في الجرائد منذ سنين ليست ببعيدة, قبل حدوث تلك الأحداث الرهيبة المتتالية, نعم.. نعم تذكرتك الآن.. ولكن كيف هربت من جحيم السجن؟.. على قدر علمي الهروب من هناك مستحيل.
- ليس مستحيلًا كما تتخيل, فرجال القوات الخاصة لهم أساليب أيضًا للهرب.
- حسنًا ما فعلت، أسرع يا ولدي.. لقد أوشكنا على الوصول.

شارع مظلم تمامًا، المنطقة بأكملها مظلمة، لا يظهر أمامي سوى وميض لمبنى كبير.. من عدة نوافذ, إضاءة السيارة جعلتها تزداد أكثر وأكثر حتى كادت تضيء الميدان بأكمله, والشارع الطويل الذي أمامه اغتصبه الظلام لعدة ســـاعاتٍ طويلة، كنت أسرع أكثر وأكثر.. أشعر بحالة (ديجافو) لا ليس الآن!. فلن يكف عقلي عن الاستنتاج, ولا أكف عن التفكير.. فكلما مررت بتلك الأماكن، يقول عقلي بكل حدة: "رأيته من قبل" كلما مررنا على أناس تأكل ذراع أحد الموتى.. "رأيته من قبل.. رأيت كل شيء"... كفى.. كفى, لن يتوقف عقلي إذًا، وهو أوج نشاطه, صببت جم تفكيري نحو الوصول إلى هناك, وهو الاستنتاج الذي رأيته من قبل وتوقعته مسبقًا، كلما حاولت تشتيت ذهني سوف يقول لي بكل سخرية: "لقد حاولت وأنت تعلم أنك رأيت كل هذا" ننفصل كي نكون شخصين، يتحدث أحدنا ويصر بكل كبرياء على رؤيته لتلك الأحداث, والآخر يتلاشـــاه ويتمنى أن يصمت إلى الأبد, أنت رأيت كل هذا, رأيت, رأيت, تلك اللحظات من حالة ديجافو شـــديدة الوضوح, الأمر يحدث, ولكن لماذا يهدأ قلبي, لماذا تباطأت ســـرعة الخفقان، لماذا تتلاشى الصورة رويدًا رويدًا من أمامي كشـــبورة امتزجت مع عاصفةٍ رملية، فأخفت كل ما يدور حولى؟ لا! لـــن يحدث, لو غبت عن الوعي فأكون معرضًا للفنـــاء, الذي بجواري لا أثق به كثيرًا، تطلعاته كانت أكثر من مجرد شخص فضولي يريد إنقاذ وطنه من الدهس تحت أقدام العدو, نظراته مريبة, وكأنه مثلهم يود تذوق لحمي, الستائر السوداء تنسدل أمامي رويدًا رويدًا وكأني أنسحب من العالم, أستمع إليه يقول:

- ما بك؟ تنح جانبًا سوف نستطدم بالحائط, احتتتتترس.

لم أعد على ســـطح, بل انسحبت إلى راحة أخرى من قيادة الجسد تدعى (الغيبوبة)(*)..

(*) ديجافو كلمة فرنسية تعني" شوهد من قبل" في إشارة إلى ظاهرة أُطلق عليها هذا الاسم من قبل العالم إميل بوريك في كتابه مستقبل علم النفس، ويقسمها بعض علماء النفس إلى ثلاثة أنواع " déjà vécu تم رؤيته سابقًا" وdéjà senti "تم الشعور به سابقًا" وdéjà visité "تم زيارته سابقًا" وديجافو هي الشعور الذي يشعر به الفرد بأنـــه رأى أو عاش الموقف الحاضر من قبل، يلازم هذه الظاهرة شـــعور بالمعرفة المســـبقة وشعور بـــ (الرهبة) و(الغرابة) أو ما أســـماه عالم النفس فرويد بـــ (الأمر الخارق للطبيعة) التجربة السابقة التي يهيأ لنا بأننا عشناها عادةً ما تكون قد زارتنا في أحد أحلامنا، ولكن في بعض الحالات أثبتت أن فعلًا ما نشـــعر بأنه موقف سابق، قد كان حقيقة ووقع في الماضي والآن يُعاد.

أحيانًا تصاب بالخوف, وكأنه رجل شـــامخ ذو هيبة يحذرك منه ويقف أمامك بزيه الأسود القاتم, يحذرك بأنه سوف يجد طريقه إليك, وينتشـــلك من هموم الشـــجاعة الزائفة التي حصنت بها نفسك لعدة سنوات.. وأن قدرك هو الخوف ولا شيء غيره.

يـــداي مكبلتان خلف ظهري, يجرني رجلان شـــديدان إلى مكانٍ أجهله داخـــل الممر الطويـــل النظيف، يحمل الطابـــع الحديث في الصناعة, الجـــدران بيضاء اللون عدا تلك الأرضية الخشـــبية رفيعة الإتقـــان والصنع وباهظة الثمـــن, أرضية تصلك إلـــى نهاية الحكم الرئاسي, ها هم يضعوني مثلما كنت يومًا, داخل تلك الغرفة المربعة, تلك الغرفة التي كنت فيها منذ عدة ســـنوات, بالطبع رشوا نحوي غازًا لا يمكنك في الفرار منه من الشلل التام، وضعوني على كرسي, أحدهم ربط عنقـــه للخلف كي تنتصب رقبتي, لـــولا التفكير لكنت أصبحت أســـيرهم الآن, ذلك الغاز يمكنك حماية نفسك به عبر غاز آخر صغير شـــفاف يوجد به في مقدمة تلك الساعة الملفوفة برفق حول يدي, لم يخلعها أحد من أحضان يدي بعد, لقد فرغت تلك الغرفة من البشـــر عداي, لأتحدث عن ذلك الغاز الذي يسبب الشلل التام, لقد انتشر عبر أروقة نوادي العصابات المختلفة, يرشونك به إذا كنت تقود سيارتك، فأصبحت كل الســـيارات بزجاجٍ منيع حمايةً من ذلك الغاز, يرشونك به إذا كنت تســـير، لو تخطيت بضع دقائق عن الساعة الخامسة, ولا

أحد يقدر على المســـاعدة, فرجال الشرطة أنفســـهم يأكلون البشر, فما بالك بالعصابات؟! فعدوى أكل اللحم البشـــري كالمرض تشتمه عبر الهواء, بروز الأنياب في البعض شـــيء طبيعي وبديهي طالما لم يكن في الإمكان أكل لحوم عادية روتينية, فنمو تلك الأنياب وتشـــعبها بتلك الطريقة في مناطق الغابات وقانون الغاب, إذا كان هناك غابات أو خضرة أو أو.. فما بالكم بعالم البشـــر؟ الذي قد دخل أحد الأفراد يبرز نابه كأفلام الزومبـــي القديمة, مثلما رأيت عندما غدوت إلى ذلك الطريق, رأيت فتاةً تحتضن ابنها الصغير بكل حب, وقد فارقت الحياة وهي وابنها بعد أن اشتمت القليل بل المزيد من ذلك الغاز القاتل, ولقد منعتهم من أكلهـــم, ضربات هنا وهناك, وأخذتهم, ثم وضعتهم داخل قبرهم الوحيد, ومن هنا حانت لحظاتي الأولى, وهي الدفاع عن البريء الوحيد, أمامي الطريق ممتلئًا بجثـــث أطفالٍ مختلفي الأحجام, كانوا يمرحون بلعب كرة القدم البسيطة, امتلأ الطريق بمأتم الجثث, حاولت إنقاذهم جميعًا ولم أفلـــح, فكلما أطبقت عن هؤلاء بابًا, وجدوا المزيد والمزيد من أبواب خلفية ذات جدران شـــفافة, لا أحد يستطيع القيام بمنع أحدهم من القتل, لذلك اكتشفت دواءً خطيرًا يمكنه الحد من القتل عن طريق العالم الســـفلي, ذلك العالم الذي وجد طريقه للحياة بعيدًا عن أعين البشـــر, أخدرهم وآتي بهم إلى الأســـفل حتى يتم معالجته, ورويدًا رويدًا تختفي تلـــك الأنياب ويعودوا إلى حياتهم الطبيعية, أما الآن لو كنتم تريدون أكلي، لمَ تأخرتم وخدرتموني ثم وضعتوني داخل تلك الغرفة؟ لكني لا أخفي شـــعوري بالخوف والرهبة فيما سيأتيني،

فالموت أصبح خامة رخيصة ها هنا, فالجميع يرهب السير نحو ممر مظلم لا يتبين أين ســـيؤتى الضوء, فها هو يســـير ويسير حتى عثر مرة أخرى على تلك الغرفـــة من جديد, فلو كنت علقت من قبل برفقة حبيبة، فهي أيضًا انتهـــت, ولا أعلم كيف ومتى كان اختفاؤها! لولاها, لكنت الآن أفدي حياتي لأعيـــش إلى جوارها إلى الأبد, وإلى آخر نفس بعمري, وبعد عملي بموتها, فلم يعد لحياتي أي قيمة سوى للدفاع عن أرضي التي ســـواها الخائنون كسجادة عريضة يدهسون فوقها كيفما أرادوا, أما الآن فأنا أرمي نفســـي نحو الموت بكل السبل, فها هم الآن بدخول تلك الغرفة الصغيرة، جلس منتصف القاعدة رجل كبير السن, واسع الطاعة ها هنا, فالجميع ها هنا يحمونه رغم أن حالتي لا تسمح بالحركة، ينظر لي بعدم اكتراث قائلًا:

- كمال حقي (الحوتي) مـــاذا كنت تفعل بالخارج؟ ها.. أخبرنا ها هنا!

الغريبة أن فمي ينطق وكأني لم أتخذ عقارًا مخدرًا لكل جســـدي مثلما كان في السابق:

- أدافع عن أرض وطني.
- وماذا نفعل نحن؟ ألا نحمي وطنك أيها التعيس؟!

ثم أضاء شاشـــة كبيرة كانت بالمنتصف, كانت بالحائط تلاشى ألوانها وأصبحت شاشـــة كبيرة عريضة تعرض أدق التفاصيل, عبر أقمارهم الصناعية صوروا تلك المنطقـــة المهترئة المتعبة والدموية

المليئة بالمدن الكبيرة التي قذفت على جدرانها المزيد من شلالات الدم البريئة, يصور كل هذا دون أن يجفل لهم جفن واحد, فما بالك ما بعد المدينة؟! شيء لا يصدقه عقل بالمرة.....

❊❊❊

قال الرجل الذي أمامه ويعرض تلك المشاهد بشكلٍ روتيني:

- أنـــت تجلس فوق أحد المباني, أترى ذلك المبنى الكبير؟ يبدو مألوفًا بالنســـبة لك، أليس كذلك؟! إننا كنا نعلم بكل تحركاتك وندرسها, ونعلم بوجود عالم بالأســـفل، المجارير.. لا تقلق, ونعلم خطتك بتوفير حياة تحت سطح الأرض, يمكنها السطوع والمقاومة, لقد زرعنا قنابلنا بدقة أســـفلها, كيف نسلم مدينة كهذه ينمو بداخلها مدينة صالحة بالأسفل؟ شيء أشبه بوجود ماءٍ على سطح المريخ, ولا سبيل للهواء للعيش بسطحه, لا بد يا ولدي من إنهاء كل سبل الحياة من على سطح تلك المدينة.

المشهد مرعب, بعدما أخرجت تلك القنبلة التي كانت تقبع بالأسفل, وأخرجها بعيدًا حيث رميتها إلى أقـــرب جبال.. ارتج.. لو كانوا هناك على سطحه أحياءً لأصبحوا غبارًا ورمادًا, هؤلاء لقد دسوا كل قنبلة عبر فوهات جميع بالوعات المدينة، في تلك اللحظات التي أقبع فيها ها هنا وها هم يعرضون كمًّا هائلًا من القنابل التي أنزلها بالفعل إلى الأسفل, لا يمكنني منعهم مطلقًا, حتى لـــو حاولت, فالمدينة تعلم مصيرها.. الزوال, لذلك قال الآخر بنبرةٍ عصبية:

سـوف أخبرك بما حدث لك يا ولدي, ولكـن انتبه فور انتهاء تلك الجلسـة سوف تموت, وكما شـاهدتها في المزيد والمزيد من الأفلام الكلاسيكية، يكشـف الطرف الآخر أوراقة قبل بعثرة البطل, ذلك لو كان في إمكاننا إضافة اسمك ضمن أوراق أحد الأبطال, لا يوجد بالبلدة رئيس وقد أخبـرك أحد رجالنا بذلك الأمر, ولا يوجد لها حاكم, أتدري مثل تلك البلاد لا تحتاج لزعيم! إنهم يلتهمون بعضهم البعض في سبيل العيش, للحياة للغد فقط, حادث ذلك المطعم كان مقصودًا, نعم مطعم يقدم لحومًا بشرية, وهو عن بشاعة تلك المناظر، تذوقه يعد من أشهى الأكلات وخصيصًا الأطفال (*) الذين يولدون طاقات كبيرة داخل الجسم الإنسـاني, أطلقنا إنذارات بإحلال أكل اللحم البشـري لمن لا يحمل هويات, حتى أصبح الكل يأكل الكل, ذلك المجتمع يحتاج فقط للدفعة

(*) في الصين يأكلون كل شـيءٍ في العصر الحالـي.. العقارب، الأفاعي، لحم الكلاب، والحمير.. حتى وصلوا إلى أكل لحوم بني الإنسان (الأجنة) فهذا البلد الذي يزيد عدد سـكانه عن مليار وأربعمائة مليون نسمة له نمط غريب في الأكل والشرب لكن طبق الأكل الأكثر غرابة هناك هو الذي يصنعه بعض الأطباء لأنفسـهم ويسـتعملون فيه الأجنة التي يتم إجهاضها من قبل النسـاء اللاتي لا تسمح لهن الحكومة بالحصول على أكثر من طفلٍ واحد خوفًا من الانفجار السكاني هناك، الأطباء توصلوا إلى حقيقة تقول بأن أكل هذه الأجنة له فائدة صحية عظيمة حيث يحافظ على الشباب ونضارة الجلد ويزيد من الحيوية الجنسية, ووصل أحد المسؤولين الكبار في الحكومة الصينية إلى «فكره واقتراح تنظيم معرض يضـم جثث الأطفال الذين ولدوا ميتين» وبالفعل تـم إخراج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ حيث تم تجميع جثث الأطفال الميتين حديثي الولادة ووضعت جثة كل طفلٍ منهم داخل علب مع إضافة محاليل عليه لتحفظه لمدة طويلـة مثل عملية التخليل عندنا وتطورت الفكرة وأصبحت بعد ذلك إحدى الوجبات الرئيسيه في دولة الصين.

الأولى وســـوف تجده يفعل ما يأمره به عقله فقط, ومن ثم أطلقنا في الهواء ذلك المسحوق الذي يقبع بيدي، الذي ينقص من معادن كثيرة داخل الزي الإنســـاني حتى يفقد ما ولدته أمه على فطرته, ثم يأكل ما يراه أمامه, ثم تصبح أنيابه بـــارزة كالذئب, ننقل للجميع من خارج تلك البـــلاد تلك الصورة عن هيئة تلك المدينة التي عزلناها بالفعل عن جميع المدن, ونشـــرات الأخبار حصريًّا لها فقط, حتى أقنعناها بأنهم هم الوحيدون الذين لم ينتشر أكل كل أصناف اللحم, لا بل أقنعناهم أن العالم أجمع يفعل بنهمٍ فظيع..

الخلاصـــة أن كل ما يحدث يخدم مصالحنـــا, تخدم مصالح بلاد غريبة كي ننقذها ونزيل كل معالم الحياة, كي نبدأ أكبر اســـتثماراتنا فوقها, أتينا بكل شـــيء, نسخ للرئيس ووو أنت تدري كل هذا, وسوف نغادر غدًا عبر طائرة.

كيف فعلوها؟! أتذكر تاريخي الطويل في مواجهة أعداء بلادي، من يمتلك الإرادة نحو تغيير البلاد إلى هيئة أبشـــع, حاول تخريبها بكل السبل في سبيل أكل بعض اللحوم البشرية, إن الغريزة تجعلك تتخلى عن أقرب شخصٍ لديك, لو كان يعترض طريقك, منذ أن اختفيت خلف أسوار السجون الحديدية, كيف واجهت رجال العصابات؟ كيف تغلبت على آكلي لحوم البشر؟ كيف دارت معك معارك عديدة؟ وهما يراقبوني في تلذذ, وها هو الأمر ينتهي من حيث بدأت, في تلك الغرفة, ولا أعتقد

أنهم الأشخاص أنفسهم, فمنذ أن اغتيل جدي في العراق وروى لي أبي أنه وهب نفســـه لخدمة البلاد, وقد تمسكت بذلك خلفًا لأبي الذي لحق بجدي على أول عربة إلى العالم الآخر, شاشات أخرى تعرض مشاهد عديدة اعتدتها كثيرًا, أســـرة تحتفي بجسد إنســـاني، قاموا بشوائه كالخراف موضوعًـــا أمامهم على منضدة الأكل, ثم هموا بافتراســـه، ومشاهد عديدة رأيتها لأســـرة مكونة من الأسد وعائلته وهم يتلهمون غزالة مثلها تمامًا, وأحد الشـــبان يصطحب معـــه فتاه, حاولا إيقاف سيارات يمثلان دور المتســـولين, وبعدما فشلا، انقض على تلك التي تجاوره الـــذي كان يفوقها حجمًا وقوة, حتى تطايرت أجزاؤها بعيدة, وهـــا هم صبية صغار اختطفوا قطعها وكأنهـــم وجدوا وجبة خفيفة ومجانية, وهرعوا إلى منازلهم حاملين قطع أنثى, وها هو ذلك الســـيد العجوز وقبل أن تأتي الساعة الرابعة قبل انتهاء ساعات الحظر, يوقف إحدى الســـيارات, وما أن أخرج أحد الشبان بضع نقود، أخذها وأخذ يده بفمه، ثم هرع قائد السيارات بيدٍ واحدة, وصرخة أحدثت ضجيجًا حتى أن أصحاب البيوت اســـتمعوا إلى صراخه بغير مبالاة, فكثيرًا ما رأوا مثل تلك المشاهد حتى اعتادوها, حتى اصطدمت السيارات بعدد الأشـــخاص وطرحوا أرضًا, حتى أتى جموع من الناس تلتقط الجثث وتلتهمها, فلا أحد يميز, حتى قائد الســـيارات منـــزوع اليد, بعدما حاول الخروج من السيارات, أخرجه بالفعل أحد الشبان وساعده, ثم غرز نابيه في مؤخرة عنقـــه, المكان يعج بالصراخ وبنهم أكل اللحم، ومشاهد أخرى صورت لشـــخصي الحبيس داخل تلك الجدران أقوم

بمقاومة, مرة أطيح بهذا, مـــرة أصيب, ومرات أحاول تخليص إحدى الجثث التي لم تتهاون أن تعيش باقي حياتها دون طرف من أطرافها، فيتركون أنفسهم لك الحيوانات, ومرات وأنا أقوم بدفن الجثث, لكبار الســـن وللصغار, ولم أتحول إلى رؤية المدينة مثلما كانوا يرونها من الأعلى, فكلما حاولت المقاومة، ازداد اشتياق البشر لأكل اللحوم أكثر وأكثر, حتى باتت المقاومة هشـــة ضعيفـــة, والثلاجة الكبيرة لا تفي لارتفاع أثمـــان غذائها, فلمَ لا يحصلون على أطعمة مجانية؟ وها هي تســـير, أنا مجرد نقطة في مدينة تعج بالموت والفناء, والغريب أنهم عرضوا صورًا لبعض الشـــباب الصغار, يحاولون المقاومة, ولكنهم بالنهاية ينتهي الأمر بمأساة لا تقل بشاعة عما رأيته, لقد حاولوا وضع تشويه وطني, أو جزء من وطني في سبيل احتلاله, ولكنهم لن يفلحوا, فقصاصات التاريخ تقول بـــ (بنط عريض) لا يوجد محتل قادر على التهام بلده، ولم يهب شـــعبها من سباته, ينهض من جديد ليدافع عن أرضه ووطنه.

هنا جاء من الخارج الرجل النحيل الذي انتشلته توًّا من على سطح, أنقذته وها هو يبتســـم, ثم تلعثم من نظراتى الحادة, شـــعرت أنه قد انتابته موجة من الرعب, عكس ما توقعه تمامًا, وهو ينظر إليّ قائلًا:

- آسف يا رفيق!

لم أجبه, وأنا أتفحصه, أنظر إليه فيصاب بالخوف, كيف يخاف وأنا مقيد أمامه! قلت ساخرًا:

- لا بأس عليك، فأنت تنتمي لحثالة البشـــر, قل لي: ألن تذهب معهم أنت الآخر؟

يرتبـــك وهو ينظر إليّ ونحوهم قائلًا بكلماتٍ حســـبها هو حزامه لكنها خرجت متوترة خائفة:

- ل.. ل.. لقد خدمت ذلك الوطن, نعم سوف أرحل معهم, أليس كذلك أيها القائد؟

التفت إليه زعيم العصابات, ليصدق على حديثه الأخير, ذلك القائد الذي رأيت المزيد من قبيلته في الأفلام الكلاسيكية السخيفة, لم يتعلم منها شيئًا وهو يقول بنبرةٍ ساخرة:

- بالطبع نعم!

يتصبب الرجل عرقًا, لقد أتوا به أمامي, لسببٍ مجهول أدركته منذ لحظات, لكن دعنا نتأكد، مما سيفعلونه به أولًا!!

قال قائدهم ببساطة:

- لقد أخذت مقابلًا، ألا تـــرى؟ مقابل قطع من اللحم, أعطيناك تصاريح لدخول الثلاجة الكبيرة, وساعدتنا على إلقاء القبض على زعيم قاتلي آكلي لحوم البشر.

ثم صمت, وهو ينظر إليه بنظرات الإعجاب, التي يتخللها ســـبة ما, ابتسم الهزيل وتوتر, لقد راق له نظرات الإعجاب, وتوتر ما أتى بعدها, قال قائدهم:

- ولكن وطننا لا يسمح بدخول شـــخصٍ يأكل اللحم البشري! وطننا نظيف للغاية!

أصيب الهزيل بالرعب, اتســـعت عيناه, حتـــى تدرك أن جمجمته أصبحـــت فتحتين تحملان عينين مفزوعتين فقط, ثم نظر قائدهم إلى الرجل الذي كان يستند بظهره إلى الباب في كسل, كان مفتولًا بعضلات لا بأس بها, اقترب من الهزيل, ثم انقض عليه, وقد غرز نابيه في عنق الأخير, الذي امتلأ بنظرات الهلع والخوف والرهبة, وهو يحاول التقاط الهواء, ويقول بخوف:

- لقد ساعدتكم.. أيكون هذا جزاااااااااائي؟!... هذا جزاااااااااائي.. لاااااااااااا.

نافـــورة من الدماء تتصاعد, ورذاذها أتـــى علينا جميعًا, لم يبالوا كثيرًا, دماء أخرى, وضحية أخرى أمامي, أوقن أنه يستحق تلك الميتة البشعة, كانت إرادتي تنادي بإنقاذه ولم أستطع, لقد تم نزع رأسه من مكانها, ثم رماها أسفل قدميّ, وهو لا يزال يتطلع نحوي بهلعٍ,

الرأس تتطلع إليه بفزع.

***

موثق بالحبال, أتطلع إلى الشاشـــات, التي تظهر الشوارع الخالية من البشر, انفجارات كانت بالأسفل, أســـفل الأرض, تصاعد الأبخرة من فوهة البالوعـــات, مما يعني أنهم بدأوا في تنفيذ مخططهم اللعين بالقضـــاء على البشـــر بالفعل, لقد كانت محاولاتي ســـاذجة للغاية للحفاظ على حياة البشـــر, مثل ذلك الأمر مثل مقاومتي لذلك الحبل! الذي يلتف حول يديّ، كلما حاولت مقاومته كلما ازددت تكبيلًا, شيء أشبه بمقاومة أفعالي, التفت حول جسد, معلقًا صرت, متدليًا صرت, أشـــاهد مدينتي تحترق, لقد خرجوا أجمعين, وقالوا ســـوف نتركك تشـــاهد وحدك, لقد ذهبوا إلى اجتماعٍ طارئ, كما قالوا, قبل أن تتبدل هئيتهم لتصبح مثل ال...

الزواحف!

يسيرون على قدمين مثلنا!

ورأسهم يشبه إلى حدٍّ كبير رؤوس السلاحف الزاحفة.

لم تخطئ القراءة.

كانوا قادرين على التحول لهيئتنا البشرية.

و...

الجزء الثاني

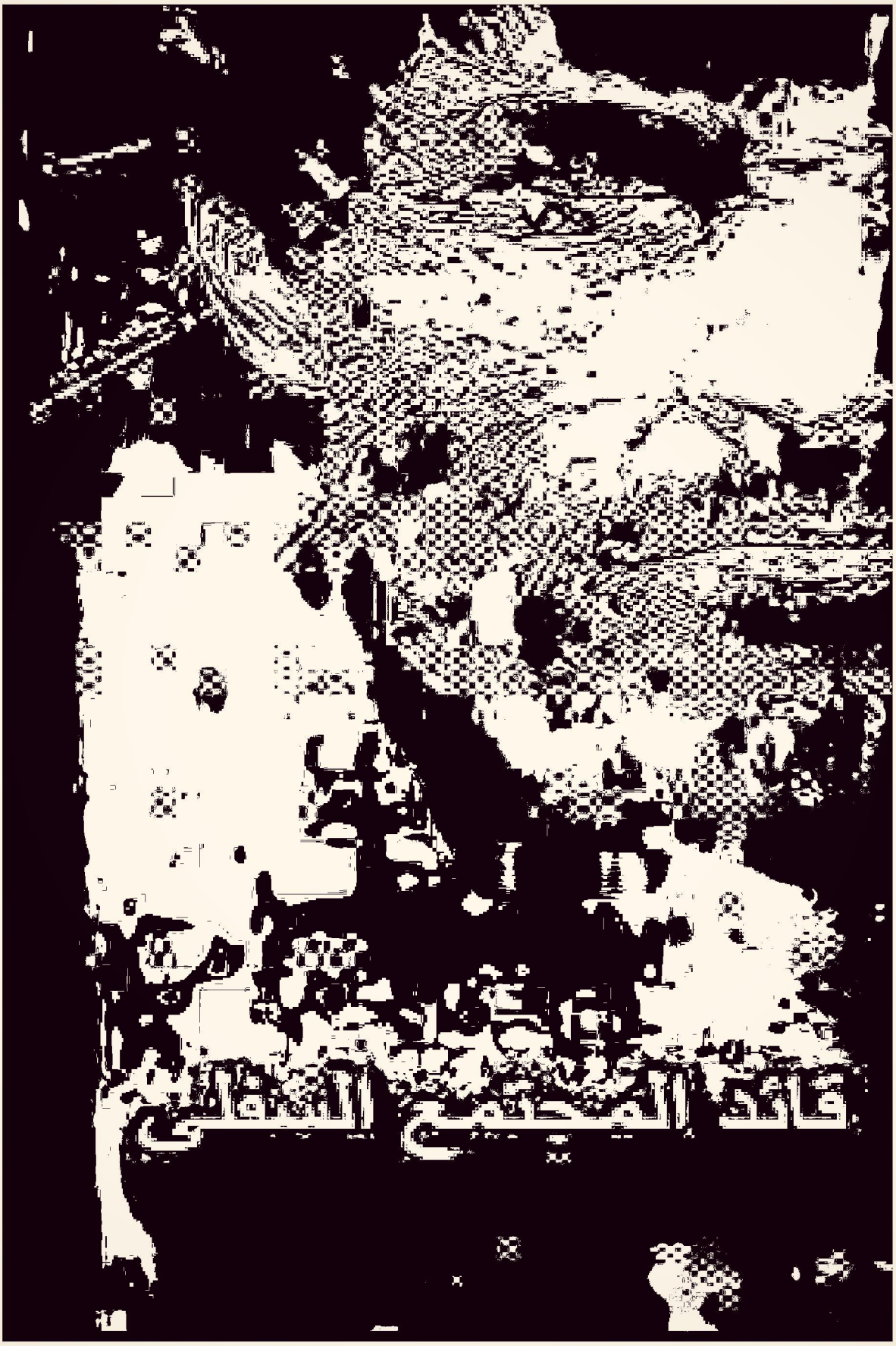

سنعود إلى الخلف قليلًا.

قائد المجتمع السفلي.

هنالك قائد للمجتمع الســـفلي, الذين نجوا من مذبحة آكلي لحوم البشر, تجمعات سكنية بالأســـفل، يقولون أنهم هبطوا عبر بالوعات المجارير في بادئ الأمر، وقالوا لي: "اهرب معنا" هربًا من آكلي لحوم البشر, وما وجدوه بالأســـفل كان مذهلًا، عبر فتحات جانبية بممرات الصرف، بوابات خفية لا يراها أحد, لمجتمع سابق كان يعيش بالأسفل, وجدها قائدهم، قائد المجتمع الســـفلي, كان رجلًا عريض المنكبين، اشـــتعلت شعيرات ذقنه شيبًا, مفتول العضلات رغم تقدم عمره, الذي تجاوز بلا شـــك الســـتين, يرتدي قبعة بيضاء وكأنه حكيم ديني، لا تدري هويته لكنك تقدره, أعطته كثيـــرًا من الحكمة المفقودة، وأنف مستقيم, فجســـده أعطاه شبابًا, لكني لم أره يمارس الرياضة مطلقًا, وذلك غريب! يحمل أسفل ذراعه كتيبًا, على إثره وجد البوابات السفلية, أثناء الهرب, وكان في ذيلـــه قوم كثر, من يحمل زوجته وبنيه, والجد والشـــباب والصبية والأم العجوز التي تستند عبر الجدران, هل أوثقتم غلق بالوعة المجارير قبل الهبـــوط؟ بالطبع.. على مدار عامين, كان يطل على السطح, ومن ثم يأخذ الناجين من مرض (آكلي اللحوم) من لم يعتد عليه بعد, ويتحاشاه! بدا في تكوين امبراطورية أسفل الأرض، بعيدًا عن أعين السطح ورجاله.

❊❊❊

إعلانات تترامى في الشـــوارع والميادي ـــن, تحذير باللون الأحمر, لشـــخصٍ مجهول باللون الأســـود، لا يظهر له ملامح, كناية عن آكلي اللحوم, المتواجدين في المدينة الكئيبة, بالأسفل مقولة (الخروج يبدأ من الساعة الخامسة إلى الســـاعة السابعة) بعدها سوف تكون وجبة لآكلي اللحوم, ماذا حدث وأنا داخل الســـجن؟ هل حولوا المدينة إلى حديقة حيوان؟ الفوز فقط للأقوى!

سؤال آخر..

أين ذهب المساجين المساكين؟

لم أرَ منهم أحدًا.

أين ذهبوا؟

أين أذهب؟

هل كانوا وجبة لآكلي لحوم البشر؟

ذلك هو أقرب الظن!

بعدما فقدت سجني الآمن.. كما يقولون.

بالتأكيد قد غادر معظم السكان الأصليين المدينة..

وذهبوا بعيدًا عن هنا بلا عودة!

وما تبقى هم الخائفون..

مرتعدون داخل منازلهم لا يبرحون!

كم عددهم؟

لا أدري..

ولكني قد تسلمت مهمة واحدة فقط سوف أقوم بها حتى مماتي!

إنقاذ الأحياء الذين يتواجدون على السطح..

المهددون بالفناء!

❊❊❊

جلـــس قائدهم، على مقعده الكبير فـــي منتصف ميدان المجتمع الســـفلي, لكل مجتمعٍ حاكم! يدير المنظومة, حتى لو كانت لا تحتاج إلى قائد, يحتاجون إلى مرشـــد, ولا بد أن يتملك الكفاءة اللازمة ليدير شؤون المجتمع الســـفلي, اقترب منه رويدًا بحزمٍ شديد, ولا يعنيني كثيرًا منصبه, فجميعهم كذلك! لن أعطيه ما يســـتحقه! لانت ملامحه وهو يقول بودٍّ مصطنع:

- كيف حالك يا ولدي؟

أومأت بالرفض, كأنني أرفض كلمة (ولدي) قلت شيئًا لا أرغب في قوله لكنه مفيد:

- كيف أحضرتهم إلى هنا؟!

(أشير إلى البشر المتناثرين في كل شبر) منهم من يقوم بالزراعة, ومنهم من يقوم بإعداد الطعام, ومنهم من يحيك الملابس, ومنهم من يتحدث إلى ابنه الصغير..

كيف لم يلاحظ وجودكم كل من فوق (أشير إلى أعلى).

اعتدل في مجلسه انتباهًا, وهو يقول باهتمامٍ وانتباهٍ شديد وحذر:

- لم تمل أبدًا من سؤالي يا ولدي, أخبرتك من قبل أني كنت عميدًا فيما مضى, وأعلم الأماكن الخفية تحت الأرض و...
- إذا كنت تعلم أســـرار الأرض، لماذا لا يعلمها من فوق السطح إذًا؟

أحنى حاجبه بغضبٍ وهو يكمل:

- تلك الأســـرار لا يعلمها الكثيرون! كنا سبعة أفراد فقط, وإذا كان بالفعل شـــبيه الرئيس احتل المنصب, فإنه بالطبع قام بالتخلص من رفقائي, الذيـــن يمتلكون معلومات عن الأرض الســـفلية, وذلك يعد أمر الأرض السفلية مجهولًا بالنسبة لهم, وأنهم بالطبع لا يعلمون شيئًا عنها بعد تسلمهم مقاليد الحكم يا ولدي, أحضرت رجالي المخلصين, وكنا نفعل مثلك تمامًا, نصعد إلى الأعلى, نحضر البشـــر الناجيـــن, ونهبط بهم إلى الأســـفل, حيث نعطيهم العلاج, علاج هياج أكل لحوم البشر, وفـــور مجيئك إلى هنا, قد تطوعت في تلك المهمة, نشـــكرك كثيرًا، ونعدك أننا ســـوف نعطيك رتبة جلية عندما نصعد إلى الأعلى ونستعيد منهم مقاليد الحكم!

أقول بحزم:

- أقوم بواجبي فقط! ولكني لن أتوقف عن طرح الأســـئلة, هناك شيء مجهول لا أعلمه, يختبئ بالأسفل, أشعر أني أداة فقط!

يحك أرنبة أنفه ويقول:

- أخبرتك من قبل, وأنت سجين، هناك أحداث كثيرة جمة وقعت داخل المدينة, أحداث لا يستطيع عقلك هضمها, ولا تقدر على تصديقها دفعة واحدة, وقلت لك مرارًا ستعتاد! ولكنك رغم كل شـــيء, تنقذ البشر وتحضرهم إلى هنا، ولكني لن أجبرك على أداء تلك الوظيفة إذا و...
- ليست وظيفة.. إنه واجبي.
- واجبك حسن حسن, فليكن...

وهنا جاء أحدهم بشغفٍ يقول:

- سيدي، هناك أمر عاجل!

التفت وصوب عينيه نحوي طويلًا بصمتٍ ثم قال:

- حسنًا يا ولدي.. لنكمل حديثنا في وقتٍ آخر.

وهبط من فوق الكرسي الكبير, ثم ســـار مع الرجل, الذي قال له حديثًا لا يعنيني كثيرًا, وكأنه يحتاج لأمرٍ من شخصٍ مسؤول, شخص يمكنه إعطاء الأوامر, لا يعنيني، فالبلاء أكبر بكثير من الحديث بأمور تنمية المجتمع السفلي, مهما بلغت أهمية حديثهم, لن يكون أكبر مما يحدث بالأعلى..

بالأعلى..

سوف أصعد..

ولنرى.

مهلًا!..

هل ما رأيته منذ ثوانٍ كان صحيحًا؟!

يد الرجل الذي يجاور حاكم الأرض السفلية ويهمس في أذنه بكل شغفٍ تتحول إلى اللون الأخضر؟ وتعود طبيعية مرة أخرى!

ربما تضخمت وعادت إلى طبيعتها..

لا أدري!

ربما أنا في حاجةٍ إلى الراحة.

بدأت أرى هلاوس.

ربما هي الإضاءة الخفيفة ليس أكثر.

هلاوس!

***

سؤال طرحه عقلي ببساطة!

أين يذهب البشر الذين قمت بإنقاذهم وإحضارهم إلى هنا؟!

كما أرى هناك بوابات عديدة بالأسفل.. مثل البيوت, يخرجون منها البشر بكل سلســـلة لإحضار المؤن! وبعضهم فور رؤيته، أدرك أنني أنقذته يومًا ما!

أطمئن لرؤية البشر بالأسفل وذلك كل ما يعنيني!

"لا تعنيني حالتهم" طالما على قيد الحياة..

أين رفاقي في السجن؟

لماذا لا أراهم ها هنا؟

حان الصعود إلى الأعلى!

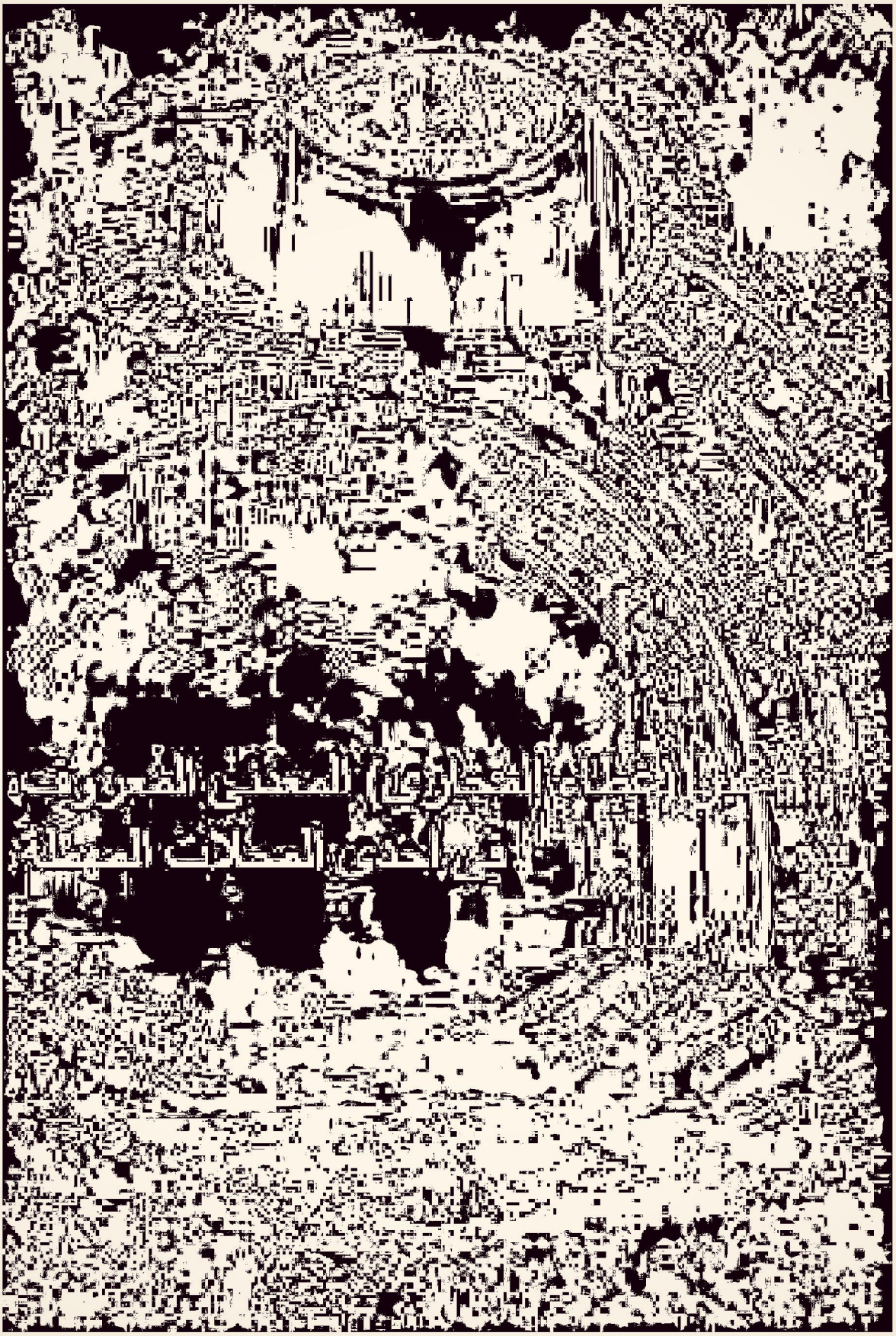

عبر (غطاء المجـــاري) المعدني المعروف فـــي إحدى المحلات المهملة, هو طريق الخروج الآمن.. حيث لا يرانى آكلو اللحوم مطلقًا, فتلك المنطقة ساكنة, لا يوجد بها أحياء, تمر بها الرياح مرور الكرام, تزيح الأوراق المهملة في حياءٍ وتضعها بإهمالٍ وعشوائية على الطريق الصامت الملطخ بالدماء, تقطع الســـكون قليلًا, يخرج البشـــر أو ما تبقى منهم! يفتحون أبوابهم الحديدية خشـــية آكلي اللحوم, يطبعون قبلة على رؤوس أبنائهم الصغار ويذهبون, تراقبهم زوجاتهم, يلقون عليهم الوصايا العشر للبقاء على قيد الحياة, إما أن تحضر الطعام أو يموت فرد من الأسرة من شدة الجوع, فلا بد للكبير أن يقدم الأضحية ويذهب هو لإحضار الطعام, أســـير معهم نحو الثلاجة الكبيرة, ساعة إحضار المؤن يقول أحدهم في غلظة:

- متى تنتهي الحياة؟ لقد مللت كل شيء!

أقول بحذر:

- لا تقلق, سوف تنتهي عاجلًا أم آجلًا!

يكمل:

- فئران وكلاب وقطط, أترى كيف وصـــل الحال بنا؟! نحملهم طعامًا لأبنائنا, لو علمت ســـبيلًا للخروج من المدينة لفررت منها فورًا.

قلت له بحذرٍ شديد وبصوتٍ خفيض حيث لا يسمعني سواه فقط:

- لقد نجا بشر لا يأكلون اللحم, يعيشون في مكانٍ ما!

صعق وارتفع حاجباه حتى كادا يلامســـان شعيرات رأسه, وقال بسرعة وبصوتٍ مرتفع:

- أين هم؟.. قل لي: هل تعرف مكانهم؟

أطبق فمك, فلو استمع لك أحد هؤلاء الرجال.. سيقتلعون رأسك.

عرف خطأه, ومن ثم قال بخفوت مثل الأطفال:

أين هم؟ هل تكذب يا رجل؟

نظرت إليـــه طويلًا, كي أمنحه ثقتي, يجب عليّ دراســـة ملامحه جيدًا, فلو أشيع الخبر في العامة, لهاجموا مجتمع الأرض السفلي, لو علم هؤلاء الذين يتولون الحكم بالأمر, سيأمرون بهدم المجتمع السفلي فورًا, لذا عليّ الحرص الشديد قبل أن أصطحب هؤلاء إلى الأسفل، قلت له بحزم:

- هل تملك أسرة؟

قال بلهفة:

- ولدي وزوجتي فقط!
- أحضرهم فـــورًا, ولا تذهب إلى الثلاجـــة الكبيرة, وأحضر ما تســـتطيع إحضاره, لأنك لن تعود مجددًا إلى عالم الســـطح, أفهمت؟
- فورًا فورًا.. أين سأجدك؟
- سأخبرك.

❊❊❊

هبطوا بسـلامٍ عبر بالوعة المجارير, تعجبوا مـن نظافة الممر, السـيدة تحتضن ولدها لتطمئنه, أما الأب, فكان ثرثارًا ولا يكف عن طرح الأسئلة, وكنت أجيبه بكل صبرٍ ونحن نسير داخل الممر المضاء بإضاءة خفيفة, المصابيح قديمة, توشـك على الانهيار لكنها تؤدي واجبها لآخر الأنفاس, فتحنا الباب الأخيـر الذي كان ينتهي في آخر الممر, وما أن فتحنا الباب, حتـى وجدنا جنودًا بالطبع, ولاهم رئيس المجتمع السفلي.. جنديان, ولكن بملابس قديمة رثة, يحملون البنادق، يعرفونني جيدًا, ما أن رأوني, حتى سـمحوا لي ولهم بالمرور, أشرت إليهم نحو هذا الرجل، يستكين داخل علبة جدرانها من الصفيح، يحمل أوراق صكوك الولاء والطاعة لرئيس المجتمع السـفلي, ويقعون على بيان بأنهم لم يتذوقوا اللحم البشري من قبل, وأنهم مسالمون, وأنهم أيضًا يرغبون في العيش بسـلام, الذي كان يعطيهم حقوق الإقامة, ويعطيهم المأوى والأمل معًا, أتركهم وأتذكر هؤلاء الذين كانوا يأكلون اللحم البشـري, كنا نضعهم داخل السجن, ونعطيهم بعض المحاقن المهدئة، ونراعيهم حتى يصبحوا مسـالمين, ومـن ثم ينضموا إلى المجتمع السفلي بسـلام، هكذا أصبحت مهمتي, إحضار البشر الغير مصابين بداء آكلي لحوم البشـر.. وإحضار آكلـي اللحوم لعلاجهم بالأسفل!

❊❊❊

هناك أشخاص بالخارج..

طلقـــات نارية تتعالى ويرتفع ضجيجهـــا, صرخات تملأ المكان بأكمله, وتقترب!

وما زالت تزحف وتقترب والطلقات أيضًا, أقدام ثقيلة كأنهم جنود, يقتربون ويقتربون!

هل حانت ساعتي؟!

لا أبالي, لكل شيءٍ نهاية, حتى أنا!

لقد انفجر الباب الذي يحتويني داخله, إنهم كثر!

اتسعت عيناي بفزعٍ وأنا أقول:

- أنت؟!!!

❊❊❊

اعتقدت أنهم قتلوك آنذاك!

قلت بدهشة حملت انبهارًا, ومزيجًا عجيبًا ما بين الامتنان, ووو..

- لا أعلم كيف أصفه!

كان صديقي (منتصر) متواجدًا في حادثة اســـتبدال الرئيس, فهو من الحرس, استمع إلى الضجة بالداخل, يحرس الأبواب فقط ولا يسمح له بالدخول, وقادني إلى المحبس بناءً على أوامر الرئيس الزائف, وهو لا يعلـــم الحقيقة, لكنه صدقها فيما بعد, قام بزيارتي في محبســـي, أفرغت ما بحوزتـــي له, بكل صدق, لم يصدقني في بادئ الأمر, ولكن لا فـــارق! فتكذيبي أو تصديقي لم يمنـــع احتلال وطني, بالتأكيد لم أره بعدها, فظننت أنهم قتلوه, لكنهم لم يفعلوا, ها هو يأتي لإنقاذي, ولكنـــه يبدو مختلفًا بالطبع, لقد كان أحد آكلي لحوم البشـــر، يتدلى من شفتيه نابان, برزا لكل حاملي مرض أكل لحوم البشر, لم أستطع الوقوف، لم يجعلني أســـقط، فحملني بعد فك وثاقي, جراء تلك المادة التي تشل الجسد، تجعلني لا أشعر بنصفي الأسفل, على كتفه حملني, وسار وسط جنوده, الذين كانوا يأكلون اللحم, كنت نصف مشلول, لا أدري شـــيئًا عن نصفي الأسفل, لقد قتلوا كل فردٍ داخل المبنى, وكلما ظهر أحدهم أمامنا، أفرغوا ما في جعبتهم برؤوسهم, قلت بضعف:

- لماذا تقتل الحرس؟

قال بصلابة:

- ليسوا حراسًـــا بل قل خدم! والخادم يقتل مع سيده, جميعهم كلاب يخدمون دون وعي ولا أدنى ذرة تفكير!

حاولت قول كلمة لكنها تخرج من فمي ضعيفة واهنة:

- هل أصبحت منهم؟

يسير ببرود, وهو يحملني دون أن يعطيني إجابة, وهو يفتح باب سيارة صلبة سوداء كبيرة الحجم, تحمل اللون الأسود, يضعني برفقٍ داخلها, ومن ثم يلتفت إلى رجاله ويقول بحزم:

- اتبعوني بسيارتكم إلى المعســـكر, وليحضر أحدهم المحقن الوريدي من أجله (ينظر نحوي) جـــاء أحدهم يحمل حقيبة دائرية بنية اللون, يقف على مقدمة السيارات, ويفتحها برفق, يضع عدة أشياء لا أراها, الشـــعور بالوهن والضعف يقتلني, ولكن أشعر بالأمان أكثر, جاء شاب, يحمل نابين مثلهم, وقال بهدوء:
- يمكنك كشف عنقك سيدي, من أجل إعطائك المحقن, ستذهب إلى النوم سريعًا, ســـتنام طويلًا, ولكن بعدها سوف تستعيد عافيتك سيدي, سوف تشعر بقدمك مرة أخرى, الشلل الذي...
- أعلم أعلم..

أعطانـــي المحقن بأدب, ولكني لم أره بعدهـــا، فذهبت إلى النوم السريع, شعرت بالمحرك يعمل, والسيارة تسير بأقصى سرعة, وكأنها تفر من المكان.

لقد ذهبت إلى مكانٍ آخر..

❊❊❊

لا أتحمل الشعور بالضعف مطلقًا, ولكني أرحب بالموت!

بينهم تناقض عجيب!

هناك حكمة من الضعف أحيانًا.

لكن دائمًا ما تشـــعر بمخاوفك مهما أوتيت مـــن القوة, يجب أن تضعف ذات مرة, وها أنا أرقد على فـــراشٍ وثير، داخل غرفة بيضاء تمامًا، في انتظار شيء, يجب أن يأتي شيء! أي شيء.

فجأة دون مقدمات غرقت الحجرة بالأشـــخاص بمختلف الأطوال والأحجام, كأنني شخصية هامة, أو تجربة علمية تحتاج إلى الدراسة فورًا, ينظـــرون نحوي باهتمامٍ عجيب وغريـــب, كان يجلس جواري صديقي الذي أصبح منهم بالطبع! (منتصر) يقول لي بهدوء:

- هل تشعر بتحسن؟!

أقول ساخرًا:

- أشعر بتحسن ويحوم حولي آكلو لحوم البشر!

يربت على كتفي, ويقول:

- الحقيقة ليســـت كما تراها, لقد أحضرت الرجال أجمعين إلى هنا من أجلك أنت!
- حقيقة؟ عن أي حقيقة يتحدث؟!
- البشر لا يأكلون بعضهم البعض!

يرتفع حاجباي عنوة, وأنا أقول بتوتر:

- لقد رأيتهم وهم يأكلـــون أذرع وأرجل وجماجم, لقد هاجمونا في محبسنا، لا تخدعني يا صديقي.

يبتسم, ثلاثة رجال آخرين، يبتســـمون ويبادلونه النظرات, كأني طفل يحاول فهم شيءٍ يفوقه عمرًا, قلت بازدراء:

- هيا أكملوا القصة, كلي آذان مصغية, لن أطرح ســـؤالًا, سوف أستمع لكم, انطلقوا.

قال وهو يحني حاجبيه في اهتمام:

- يا صديقي, لقد أنقذناك منذ قليل, لا يصح بعدها أن نســـخر منك, وقد تعرض الكل للخطر، حســـنًا ســـوف أقول لك كل الحقيقة التي أخفوها عنك.
- لا, لن أطفو على سطح الغباء مرة أخرى, ولا يمكنني تصديق حرفٍ واحد منه, ذلـــك خرف, لا يصدقه طفل صغير, ما بالك برجلٍ قاموا ب.....
- ماذا فعلوا به؟

***

شئت أم أبيت, هناك مخلوقات تدعى الزواحف تعيش داخل أمعاء الأرض (جوف الأرض) خرجت مني ضحكة ســـاخرة لمقولته الأخيرة, لم تكن من شيمي مطلقًا, لكنه قد أدرك أنني تحت تأثير المخدر, هيا أكمل أكمل:

- قوم الشراسة طبعهم, والقتل شيء عادي بالنسبة لهم, لكنهم لا يقتلون أنفسهم, بل يتكاثرون فيما بينهم ليستمر الزحف إلى بني البشر, استولوا على رؤوس البلاد واقتلاع حكامها ووضع البديل الذي يحمل الولاء لهم فقـــط, بالفعل يمتلكون القدرة على التحول إلى أي هيئةٍ يرغبون, مثل الحرباء, من العســـير عليهم أن يعيشـــوا داخل مجتمعنا في سلام, فمنطق السلام لا يليق بهم, لا يقبلون الضعفاء من البشر, أو هكذا يقولون, نحن بالنسبة لهم أضعف المخلوقات! إنهم يريدون العودة من جديد لأنهم يعتقدون أن تلك الأرض ملكهم منذ ملايين السنين, وقد سنحت لهم أخيرًا للعودة، بمساعدة الجواسيس والعملاء!

قلت بهدوء:

- طالما نحن ضعفاء, لماذا لا يقتلوننا ويبيدونا إبادة طالما ذلك الوضع بسيط بالنسبة لهم؟!

صمت برهة وهو ينظر نحوي باستخفافٍ ثم قال:

- الأمر ليس بتلك البساطة التي تتصورها! شئنا أم أبينا ستقوم حربًـــا بيننا وبينهم فـــي! إنهم أذكياء, لا يريـــدون ضحايا, سيقولون فيما بعد أنها حرب من الفضاء الخارجي, حرب أتت من الفضاء كما صورتهـــا بعض الأفلام الهزلية, إنهم يقبعون بالأسفل, أســـفل الأرض داخل تجاويف لا يعلمها سواهم, هم وبعض الخونة, الجميع خائن يا صديقي.

قلت بحذر:

- من أين أتيت بتلك المعلومات الهامة؟!
- لقد راقبت اتصالاتهـــم ببعضهم البعض, لنـــا رجال يأتون بمعلومات, ويقبعون معهم, عميل مزودج.

بسطت عنقي وأنا أقول:

- صديقي, تلك هي المرة الأولى التي لا أتقبل بها كلماتك!

قال وهو يعقد حاجبيه:

- لكني صدقتك عندما أخبرتني بأمر تبديل الرئيس.
- ها ها! فيما بعد! لقد صدقت فيمـــا بعد, تركتني أموت داخل زنزانـــة بلا حياة, حبيسًـــا حتى المـــوت, بالنهاية تقول لي صدقني؟!

قال أحد الرجال معترضًا:

- أتريد أن يزج معك بالسجن, قلنا لك أنت لا تعلم شيئًا!

اعترض (منتصر) قائلًا:

- لا تنطق قبل أن أعطيك الإذن!

تنحنح الرجل وهو يقول بخجل:

- أعتذر, ولكننا عرضنا أنفسنا للخطر من أجل شخصٍ لا يأتمن أحدًا, ويتهمك بالتخاذل!
- ذلك حقه, فما رآه لا يتحمله بشر, نعطيه أعذار يا فتى.

أشاح بوجهه عنه وهو يعطيني انتباهه الكامل ويقول:

- أولًا لسنا آكلي لحوم البشر كما تعتقد.

وفعل شيء صعقني وذهلني لكني لا أظهر.

❊❊❊

"اخلعوا أسنانكم الاصطناعية"

وضعوا أيديهم داخل أفواههم وأخرجوا (طاقم أسنان مدبب) أفيلم كوميدي هذا؟

وأمسك الطاقم بيديه وهو يقربها مني:

- أرأيت؟! إنها خدعة! مجرد خدعة لنمتزج بينهم!
- لا أفهم! هل هم من يأكلون لحوم البشر؟ هل هم من هاجمونا وأكلوا بعضنا؟ لقد رأيت البشر، رأيتهم بأم عيني يأكلون أذرع وأدمغة وأرجل بنهم!

أحنى شفتيه في ابتسامةٍ وهو يقول:

- هل ترانا نأكل بعضنا البعض؟!
- ماذا عن اللافتات؟ ماذا عن...
- ألم تقل أنهم احتلوا مـــكان الرئيس؟! إذًا وضعوا أيديهم على منصة الحكمة يفعلون ما يحلو لهم.

ظهر كطفلٍ مسكين أمامهم يحتاج لشربة اللبن كي يفهم كل شيء:

- ماذا عن أكل الفئران والقطـــط وجميع اللحوم الغير صالحة للأكل؟

قال أحدهم بتلقائية:

- لقد أخذوا كل شـــيء, كل مواردنا الغذائيـــة, أنهم قوم مثل الغيلان, فلم يتبق لنا ســـوى أكل الفئران والقطط, ولكننا لم نقترب من أكل إخوتنا, لا نجرؤ!

قلت وكأنني توصلت لمعضلة لا يفهمها سوى الأذكياء فقط:

- إذًا هربنا من الزواحف داخل المحبس, المتخفين بزي البشر, كانوا آكلي لحوم البشر من الزواحف.
- نعم كانوا هم.

قلت وأنا أحاول التفكير:

- ماذا كنت أفعل طيلة هذة المدة؟

❊❊❊

- هل كنت أنقذ البشـــر أم أعرضهم للهلاك, لقد أنقذت المئات وهبطت بهم إلى الأســـفل, مـــن آكلي اللحوم, ومن البشـــر الطبيعيين أنفسهم! من هؤلاء الذين اختطفوني وكبلوني وقتلوا الرجل؟ هل هم؟ لم أعد أفهم أي شيء!!

تنهد, وقال بهدوء:

- هؤلاء عملاء فقط, ليس أكثر, وقـــد هربوا بعيدًا, لقد قالوا لي المراقبون الذين يفترشون الشوارع والميادين بوجودك هناك, وأخبرونا بأمر الحادث, فورًا هرعنا إليك ولنجدتك!

هناك أسئلة عديدة تدهسني من الداخل لأقول:

- هل كانوا البشر أصحاب الأنياب الذين أراهم كلما صعدت إلى السطح أم من هم؟
- لا يمكنـــك التفريق بينهم وبيننا يا صديقـــي! إنهم يجيدون التخفي كما رأيت في السابق, نظرات الحقد مطلة من أعينهم دائمًا.

قلت مذعورًا:

- لكنني أمسكت بعضهم وهبطت بهم إلى الأسفل! عبر المجارير! هناك حضارة بالأسفل و...
- نعلم كل هذا!
- ولكني بغير علم أعطيتهم لحمًا بشـــريًّا طازجًا بالأسفل, كنت أعتقد أن ذلك العقار الذي أعطاني إياه حاكم الأرض السفلية, يهدئ من روع آكلي اللحوم, يجب علينا إنقاذهم بأي وسيلة!

قال بعدم اكتراث أو هكذا حسبته:

- أنت لا تعلم الحقيقة كاملة بعد!

أشـــعر بقدميّ الآن, لذا قمت من الفراش بنشاطٍ لا يقارن, وكأنني أخذت جرعة من منشـــط فعال, ارتديت ملابسي سوداء اللون, وذلك الجاكيت الأســـود جلدي الصنع, لم يمنعني أحد, بل أخذوا يراقبوني بهدوء, فقال (منتصر):

- إلى أين؟

قلت بغضب:

- سأحاول إنقاذهم بالأسفل, سوف أذهب إلى هناك!

فتح أحدهم الباب الحديدي الكبير, مألوف الهيئة بالنسبة لي! وهو يحمل سلاحًا ثقيل الوزن, ويهب نحو (منتصر) مندفعًا:

- سيدي, هناك جلبة, يعدون العدة لمهاجمة الباقين من البشر!

هب (منتصر) يوجه لـــه كلمات بصوتٍ خفيض حتى أســـتطيع ســـماعها! لماذا؟ ومن ثم أخذه من كتفـــه وابتعد قليلًا وجمع الباقين من الرجال ثم ذهبوا ناحية البـــاب الكبير, وتركوني وحيدًا, أخمن ما يقولون!

ذهب الرجال أجمعين, تاركين (منتصر) يتوجه نحوي بكل حزم, ويخرج من ذلك الجاكت الجلدي المميز بني اللون للعاملين في الجيش, جهازًا مثل الهاتف المحمول لكنه ليس كذلك, كان أكبر حجمًا, وأثقل وزنًا, وضغط على زر التشغيل, وما ظهر عبر الشاشات يشعل الموقف ويبعثره أرضًا..

تبًّا!

ارتفع حاجباي حتى كادا أن يصلا إلى جبهتي..

إنه!!

سحقًا..

❊❊❊

إنه أنا, أهبط إلى الأســـفل, وأحمل معي أحدهـــم, يبدو نائمًا, أو مخـــدرًا, أذهب به إلى هناك, حيث غرفة, الغرفـــة التي بها (الحكيم) صاحب اللحية البيضاء, يضعهم على الطاولة, ويقوم بعلاجهم, لم أره, فقط كان يكفيني إيصالهم إلى الأســـفل, ذلك الشيء يصور كل شيء, ما أن يجلس المصاب بصرع أكل اللحـــوم كما كنت أعتقد, كان يهب من رقدته, يقـــول له الحكيم: "لقد ذهب" كناية عني بالطبع! ويخرج به من الغرفة, ثم يشير نحو غرفةٍ أخرى, أعلمها جيدًا, يجلس داخلها آدميون! أحضرتهم بنفسي إلى الأسفل, يطرق الأبواب برفق, يسمحون له بالدخول, ومن ثم يغلق هو الأبواب, صوت الصراخ يتعالى ويتعالى, أشاهد بفزعٍ ولا أســـتطيع التعليق أو النطق, وأنا أشاهده يخرج وكل شـــيءٍ ملطخ بالدماء, تتناثر على جسده العاري الصدر, وعلى الأبواب من الداخل, لم يلبث أن تغير لونه إلى اللون الأخضر, وغطى جســـده الحرافش السميكة خضراء اللون, بؤرة عينيه تحولت إلى عين ثعبان, يسير بهدوءٍ شـــديد, أين أنا, كنت أجلس بغرفتي, نائم فوق الفراش, يأتي أحدهم خلسة يراقبني, يضع على رأســـي جهازًا دائريًّا خفيف الوزن، يخرج منه كرتان دائريتان, قلت وأنا أشير نحو الجهاز بصرامة:

- ماذا يفعلون؟؟

يقول بهدوء:

- يمسحون ذاكرتك, ويبدلونها! ليجعلك تنفذ الأوامر فقط!
- أنا لا آخذ أوامري من أحد, ذلك كان واجبي!

- هكذا كانوا يضعون ويرسخون داخل رأسك فقط, إنها واجبك, ومهمتك الأخيرة دومًا.

إنه الحكيم ذاته داخل غرفتي! يدون شـــيئًا على يديه, إنه جهاز لا يرى من هنا, لكنه كان يراه بالتأكيد, وما أن انتهى, حتى نزع الجهاز من على رأسي, قلت:

- لماذا لم أشعر بوجوده, أو بوجود الجهاز على رأسي!

يشير إلى الأعلى:

- عن طريق الغاز, ما أن تدخل غرفتك المراقبة حتى ينفر الغاز الغير مرئي داخل الغرفة ويشملها, تشعر برغبة في النوم.

بغضبٍ أقول:

- وأنفذ التعليمات, تعليماتهم, ثم أصعد لإحضار البشـــر وآكلي اللحوم إلى الأسفل، معتقد أنني أقوم بإنقاذهم, يا أوغاد! أيها الملاعين!

ها أنا أذهب إلى الأعلى, وأقوم بإحضار أحدهم, وهكذا.

كنت فأرًا..

مجرد فأر..

لقد كنت خادمًا مطيعًا لهم!

إطفاء الجهاز, وهو يقول:

- لا ذنب لك في الأمر! إنهم يريدون الإبادة التامة, ومن يساعدهم بشـــري مثلك ومثل الكثيرين, يمكنهم من الصعود إلى الأعلى

بهدوءٍ, وتلك هي البداية, بلادنا هي البداية, الحرب على وشك البداية, يجب عليك استعادة عافيتك, لتنتقم لزملائك أجمعين, ولوطنك!

أقول ساخرًا:

- عن أى وطنٍ تتحدث؟ وطننا أم وطنهم؟! هل تريد مسح عقلي أنت الآخر؟ أنا لا أملك وطنًا يا هذا!!

يربت على كتفي قائلًا:

- أنت مشوش, أعلم أنك مصدوم, لا نملك الوقت حقًّا يا صديقي, لكنهم لا يســـتطيعون فعلها معك مرة أخرى, بعدما كشـــفت أمرهم, لقد أعددنا خطة لإبادتهم أجمعين بالأسفل.

أقول بعدم اكتراث، وأنا أسير نحو الباب:

- أنت وحدك, لقد خرجت من اللعبة.

يمسك ذراعي بقوةٍ من خلفي قائلًا بصرامة:

- هل تعلم ماذا يدبرون؟ سوف يبيدون البشر في الأعلى, سوف ينهون وجودنا في تلك المنطقة, إنها حرب من أجل البقاء أيها الغبي.

أفلت يديه بصرامة، التي تمسك كتفي وقلت بصرامةٍ أقوى:

- أنا خارج اللعبة إلى الأبد!

❊❊❊

أجلس على ذلك الكرسي الذي يستقر داخل الغرفة, لأراقب (منتصر) وهو يوجه تعليماته الأخيرة إلـــى رجاله، بكل هدوءٍ أراقب في صمت، وترقب لا يعنيني, وتلك هي المشكلة، إنه لم يعد شيء يعنيني! لا أبالي مطلقًا, أرفض أن أكون لعبة بيد (منتصر) ورفاقه, إنهم ضعاف العقل حقًّا! يـــودون أن يقتلوا القبيلة بأكملها, قبيلـــة قوم الزواحف! أخرج ضحكة ساخرة من شفتيّ, لاحظها بعض الرفاق, وقد أعطاني نظرات استنكار! قائلًا ســـرًّا: "كيف تجرؤ؟" لماذا يضعون الأسنان المدببة؟ ألسنا وحدنا هنا؟! يستعدون للمواجهة الأخيرة, فكما علمت وشاهدت, شـــاهدنا جميعًا داخل الغرفة (فيديو) مطولًا, عن خطة حاكم الأرض السفلية باحتلال الســـطح, وتلك المرة يظهرون بأشكالهم الطبيعية, على هيئة البشر لكنهم مغطون باللون الأخضر, وبعيون مدببة شبيهة بعيون الثعابين! بنيتهم قوية للغاية, بل أقوى من البشر بعدة مراحل, يعتبرون التخفي بهيئة البشر شيئًا مقززًا لكنهم يقبلون من أجل هدفٍ أســـمى! لقد أكلوا جميع البشر الذين هبطت بهم إلى الأسفل, أو قاموا بعمليات تهجين ومســـح الذاكرة, لتحويلهم إلى زواحف مثلهم, مثلما فعلـــوا ف..! لقد أصبح الكثيرون بالأســـفل يهتفون من أجل النصر, والصعود إلى الأعلى مرة أخرى, للحياة بشكلٍ أكثر حرية, طرح عقلي ســـؤالًا غريبًا, لماذا لا نتعايش معهم في سلام؟ لا يمكن إنهم مقززون ســـافكو دماء! لا يمكن التعايش معهم مطلقًا، بالسطح قوم ضعاف يودون العيش في ســـلام، والذهاب إلى الثلاجة الكبيرة من الســـاعة الخامسة للسابعة فقط, لا يملكون إرادة, حتى بلغ بهم الأمر أن يتذوقوا

لحوم الفئران والقطط والكلاب من أجل الحياة, لا يملكون قرارًا, حتى لو قتل منهم العزيز, يهرعون إلى منازلهم رعبًا، لا يتمنون القتل والأكل, مما جعل الحاكم العميل يعصرهم عصرًا, من أجل صعود قومه بالأعلى, قتلهـــم معنويًّا, وهذا ما في الأمر! لم يتبق الكثيرون بالأعلى, الراغبون في الحياة قوم قلائل للغاية, أما هؤلاء العابثون الذين يرتدون أســـنانًا مدببة, لا يعرفون خدعتهم بعد, يعتقدون الذكاء الحاد, ويظنون أنهم قادرون على قتل هـــؤلاء.. (منتصر) وضع في كل بقعة أكثر من مائة رجل, لو جمعت عدتهم تجد أنهم أكثر من ألفين رجل, منتشرون عبر بالوعات المجارير، يستعدون لهم ويضعون قنبلة لتفتك بهم بالأسفل! والرجال بالأعلى على أتم اســـتعداد للقتال الحار بالأســـلحة النارية والحادة أيضًا, يعتقـــد (منتصر) أنني قادر على قيادة بعض الرجال, ولكني لم أفعل, أمامي الشاشـــات موضوعة لأراقب ما سيفعلون بكل هدوءٍ وحكمـــة, هكذا أخبرته! ويجب أن يقبل منصبي الجديد كمراقب فقط, مثلما كنت أفعل بالسابق, كنت أراقب البشر السائرين وأنقذهم ثم أهرع بهم إلى الأسفل! مهنة المراقبة تليق بي كثيرًا، لن أقتل أحدًا، لنأمل أن ينتهي الأمر بنجاحٍ مثلما بدأ!

❊❊❊

أين كنا؟

لقد كنا بالأسفل!

لا تتعجب ويرتفع حاجبك السميك, لقد كنا بالأسفل, يتفقون ويتجمعون من أجل القضاء على المجتمع السفلي في موطنهم! للقضاء على ذرية ونسل الزواحف, وبداخل غرفة المراقبة الخاصة بهم أيضًا, ماذا فعلوا؟! لقد هبطوا بالأسفل بعدما قتلوا المراقب الوحيد, وهناك أحد يقلد صوته من آنٍ لآخر, يطمئنهم بأن الأوضاع جيدة وعلى ما يرام, ألم أجد الحجرة مألوفة كثيرًا لي! الزواحف تراقب البشر من الأسفل, في كل شبر ومن كل اتجاه.

❊❊❊

تفرق الجمع, وذهبوا إلى تلك المناطق في الشوارع والميادين, لقد عرفوا ساعة الحســـم, وتأكدوا أن الزواحف سوف تنطلق إلى السطح للهجوم على الأفراد الباقية من البشـــر المسالمين, المتبقين! وهم لن يسمحوا بذلك الأمر, سوف يبادرون بالهجوم أولًا, سيقتلونهم أولًا.

وقد بدأت المعركة..

ولكن لم تنفجر القنابل الموضوعة بالأســـفل مما يجعلهم في حالة اندهاشٍ كامل وهم يواجهون الزواحـــف الضخمة, خرجت الزواحف الآدمية, بكل قوةٍ وشراســـة, يضربون هذا, يمســـكن هذا من رأســـه ويقتلعونها بكل هدوءٍ وسلاسة وقوةٍ مدهشة, لا يتأثرون بالرصاصات المتناثرة إلا قليلًا, يمســـحون موضع الدماء التي تسيل من أفواههم, يكرهون البشـــر, ويعتبرون دماءهم مقززة! وهم يركلون هذا, نجح أحدهـــم في قتل الزاحـــف الكبير, عن طريق إطـــلاق المدفع الكبير صوب ظهره, فانفجر وتناثرت دماؤه في كل شـــبر, يرتفع حاجباي قليلًا بتأثر, إنها مذبحة, البشـــر متناثرون كالنمل دون خوفٍ أو رهبة نحوهم, المنطقة الأخرى, موقف رفـــاق (منتصر) ضعيف, حيث لم يتبق سوى اثنان فقط, يضربون الرصاصات في أحدهم ولم يبال وهو يتقدم نحوهم بكل سلاســـة وكأنه سوبر مان, يمسك السلاح الزاحف الكبير, ويضرب بـــه على رأس حامله لتنفجر الـــرأس من فرط قوة الضربة, ويســـقط الجســـد بلا رأس جثة هامدة, تحطمت رأسه مثل ثمرة الطماطم, واستمر (الزاحف) بالبحث عن البشر، تلك البقعة التي

احتلتها الزواحف تمامًا, كانوا يتلاقون ويتهامســـون دون فتح الفم, كيف لبشري أن ينتصر في تلك المعركة الخاسرة؟! لقد كانوا الزواحف الأكثر عدة وقوة وتطورًا, الباب المعدني يطرق بقوة الآن.

بابي المعدني, ويبدو أنه أحد الزواحف!!

سوف يحطم الباب قريبًا، لن يحتمل لكماته وطرقاته الغاضبة.

❊❊❊

أشاهد ملحمة, جنود البشر تلتحم بجنود الزواحف في قسوة, لكن الغلبة كانت من نصيب الزواحف, فانهزمت إرادة البشـــر المتواجدين هناك, فلم يتبق منهم سوى القليل, وانتشرت الزواحف بعد قتل هؤلاء البشر حاملي السلاح الذين تجردوا من الخوف وبادروا بالهجوم, وبعد أن تـــم قتلهم وتدميرهم توجهوا إلى المنـــازل لتطهيرها من بني آدم ليفسحوا مكانًا للحياة لذويهم من أبناء الزواحف بعد احتلال السطح, ليجدوا منازل مجهزة لهم, البشـــر! يقذفونهم من الأدوار العالية مثل الحشرات المملة, الصراخ من هنا وهناك, يرتفع, الركض في الشوارع والميادين، بنو آدم حاولوا الهرب بأقصى سرعة, يخافون الموت على يد الزواحـــف, أصابهم اليأس، فالزواحف في كل مكانٍ وكل شـــبر, وتتغذى عليهم.. (ولائم طازجة) أصبحوا غذاءً لهم لعدة شهورٍ طويلة, لا يوجد هرب, فر من فر, وبقي من بقي من شـــدة الخوف, هربوا عن طريق البحر, والصحراء, لكنهم لم يفلتوا.

ماذا حدث بعدها؟..

الأبواب التي يطرقها الزاحف بكل قسوة.

لقد كسر الباب..

ظهر على عتبته زاحـــف كبير الحجم, يتدلى عبر شـــفتيه دماء, ويتقدم نحوي بكل هدوءٍ وثقة.

- هل مات (منتصر)؟!

ينظر نحوي الزاحف الكبير بكل حزمٍ قائلًا بصوتٍ أجش:

- لم يمت بعد! لكن إصابته ســـوف تؤدي الغرض، سيموت عما قريب.

أقول بهدوء:

- لا تقتلوه, سوف أعرضه على العامة, سنقوم بقتله أمام الجميع، فلتخبروا الحاكم أنني سوف آتي بعد الصعود إلى الأعلى.

ينحني في احترام..

هم بالذهاب..

لتنفيذ الأوامر!

أوامري.

❊❊❊

مر سبع ليالٍ كاملة.

ومن ثم صعدنا جميعًا إلى الأعلى, أحضرنا معنا معداتنا المتقدمة بملايين السنين عن بني البشر.

وقمنا باحتلال السطح بعد إزاحة قاطنيه.

اليوم هو اليوم الموعود.

أقـــف بجوار الحاكم أمـــام العامة الذي يميزهـــم اللون الأخضر, والحراشـــيف أيضًا, والعين الشـــبيهة بعيون الثعابين.. أمامنا وعلى منصة الإعدام, خضع (منتصر) كالذليل أمام الحارســـين, في انتظار قرار إعدامه, أقول بكل هدوءٍ للعامة:

- اليوم سيذكره التاريخ جيدًا ولن يسناه أبدًا, انتصرنا على بني البشـــر، وأخرجنا ما بقي منهم إلى بلادٍ أخرى, سوف نعيش على الســـطح إلى الأبد, ولكن أولًا يجـــب أن نحاكم من تجرأ وحاول قتل بني عشيرتنا.

أرمق (منتصر) الذي يقول في عناد: "الخائن.. أيها الخائن" لم أبال بالطبع, فأنا أدرك ما يجول بخاطره, وأصب جل اهتمامي على حديث قائدي وقائد الزواحف الذي أخذ يقول ويتحدث إلى شعب الزواحف:

- البشـــر! تلك الكائنات الدونية, لقد أخذنـــا قرونًا وقرونًا في دراستهم, اختطفنا منهم الكثيرين والكثيرين, لدراسة عقلهم الهش, ولمحاربة عدوك يجب أن تقوم بدراسته, ومعرفة ردود أفعاله, ووجدنا مميزات عديدة لعقله البشـــري, الذي دمجناه بجيناتنا النقية, حتى أصبحت دماؤهم تســـري داخل أسلافنا, أجيال وأجيال, قدموا ولاءهم لنا, ما بين الصفوف أجناس البشر الممزوجة بدماء الزواحف, ســـيقومون بخدمتنا في السطح, لذلك سوف نقسم العمل, أنصاف الزواحف سيقومون بخدمتنا على أكمل وجه, سيعملون في المدارس والمعامل الكيميائية, أما السادة سوف يحكمون, (الزواحف النقية) سيكون أنصاف الزواحف عمال النظافة, حراس على الأبنية, أما نحن ســـوف نكون السادة هنا, لقد امتلكنا بلدة, مجرد بلدة! وبعدها سوف نزحف لاحتلال العالم أجمع.. (أشار بإصبعه) الخطوة الأولى؛ يجب أن تكون جيدة, لقد وضعنا قدمًا بالسطح, ولن نهبط إلى

الأسفل مرة أخرى, هم ســـيختبئون منا, سيهرعون خيفة من جنودنا البواســـل, لقد وضعنا أرجلنا بالسطح ولن نعود مرة أخرى لعصر الظلمة.

أشار إلى (منتصر) قائلًا:

- أما هذا البشري, سنقوم بذبحه اليوم جزاء ما فعل.

قال (منتصر):

- فلتفعلها الآن.. أيها الزاحف الحقير.

أشار إلى الجلاد الذي كان ممسكًا بسيفٍ كبير, ويهب لقطع رأسه بكل سهولةٍ ويسر، رفعت يدي قائلًا:

- فلتتوقف.. لا تفعل!

ينظر نحوي الحاكم بغضبٍ قائلًا:

- ماذا تفعل؟ لماذا؟

يدرك دوري في صعود الزواحف, هو ممتن لي كثيرًا, ولو أنه أحد غيري لأمر بقتلي فورًا, قلت بهدوء:

- ســـنحتاج إليه, أعلم أن ذلك البشري يخفي الكثير من البشر بالأســـفل, بقتله لن نعلم أين هم! بقـــاؤه على قيد الحياة في صالحنا, سنجعله يعترف, ويقول لنا أين هم, ثق بي.. أنا أدرك ذلك الأمر, وسوف أجعله يعترف, وأنا من سأجعله يعترف, ألا تثق بي؟

ينظر نحوي طويلًا, بلا أي رد فعل, يربت على كتفي قائلًا:

- هو لك, سأنتظر منك أماكن تواجدهم.. (يشير نحو الحرس) اذهبوا به إلى السجن, سنؤجل موته.

يقول (منتصر) بعض الكلمات الغاضبة, ولكن الأمر لا يعني الحاكم ولا الزواحف المنتشرة في الساحة.

حيث قال الحاكم:

- سـنحتفل خلال أيام بشـرب كأس من (ياجوري) هو عيدنا القومي من الآن، وسيكون ذلك احتفالًا سنويًّا بشرب كأسٍ من الياجوري.

❊❊❊

اليوم التالي..

أقف في زنزانة (منتصر) لا ينظر لي, ينظر إلى لا شـــيء بغضبٍ هادر, لا يريد رؤيتـــي, أقف أمام باب الزنزانة مرتديًا الزي الأســـود المميز, ردائي الخاص, لا نتحدث! أســـير بهدوءٍ نحوه, جلست أمامه, لا ينظر لـــي, كأنما قتله بالفعل الهزيمة, يجب أن نتحدث, أو يجب أن أتحدث, قلت بهدوء:

- لماذا لا تأكل و...

يقول مقاطعًا بصوتٍ هادر:

- اغرب عن وجهي, غادر، لا أريد سماع صوتك!!!

قلت بهدوءٍ وكأنني لم أسمعه:

- ستستمع, لم أطلب إذنك!

ينظر نحوي بعينين تحملان ويلات ووعيد لا نهائي، ما يمنعه عني تلك القيود فقط:

- قلت لك لا أريد سماعك.. أيها الزاحف المقزز.

أطلقت ضحكة بسيطة, وأنا أقول:

- مـــا أدراك؟ وكيف علمت؟ لم أتحول بعـــد! ليس كل ما تراه حقيقيًّا يا صديقي!
- لست صديقك, أنا لا أرافق الأوغاد أمثالك!

انتصبت واقفًا وأنا أقول وأســـير بالزنزانة الصغيرة دون أن أنظر إليه:

- لعبة محترفين! مارست معي لعبة المحترفين, كي تشركني في حربك ضد الزواحف! ولا تدرك أنني أعلم كل شيء, ورغم كل هذا لا أشترك في اللعبة, التي تدرك داخلك من الرابح فيها! ولكنك رغم كل شيءٍ تسير, يسعدك كونك القائد, غرورك وغطرستك منعاك وقتها, كان يمكنك منع كل شـــيء, حينها! أتذكر تلك اللحظة التي أخبرتك بها أن الرئيس زائف؟! بعدها علمت أنني على حق بعد أن احتلوا السطح وادعاء وجود آكلي اللحوم على السطح, علمت الحقيقة (بعد خراب مالطة) والآن ماذا فعلت؟ أرســـلت لي رجلًا نحيلًا يدعي معرفة أمرٍ ما, وبالنهاية يتضح أنه كان جاسوسًا مزدوجًا, وتقتلوه أمامي, وحقًّا لا أدري لماذا! لماذا قتلتوا الرجل؟ لإقناعي مثلًا؟ أم انتهى دوره؟ وهل إزهاق الأرواح بســـيط إلى تلك الدرجة؟ هل تـــرى أن إزهاق الأرواح يخدم أهدافك؟ بعدها تنشـــروا غازًا بالغرفة، جعلني لا أشعر بنصفي الأسفل, وأرى هلاوس, وأعتقد أن النجاة قريبة, أراكم تقتلوا كل مـــن كانوا في المبنى, هل قتلتموهم حقًّا, أم...؟! ها ها, من أجل إنقاذي, ومن أجل أن تشـــركوني في حربكم!! هل جمعت رجالك بتلك الطريقة, لا أعتقد, أم أنهم ظنوا أنك تصلح للقيادة, وترتدي الأسنان السخيفة, ووو...؟

ينظـــر نحوي بذهول, اتســـعت بؤرة عينيه حتـــى كادت تلامس حاجبيه, ولم يتحدث, لذا أكملت:

- لن أخفي عنك أشـــياءً غائبة عن وعيك, ولكني سوف أخبرك, الغرفة محصنة, وإنهم يثقون بي كثيـــرًا, كنت أعلم.. أن من كانوا بالأســـفل زواحف, وأنهم قامـــوا بحقني عدة مرات وأنا نائم, نشـــروا غازًا منومًا بالغرفة التي أنام بها وأستكين بعد يومٍ طويل بالســـطح, كل مرة أعود من السطح وأنا أبحث عن الناجين من العض أو الأكل أو أو, أنت تعلم تلك الأشياء, مسحوا ذاكرتي, عدة مرات, لم يفلحوا في تحويلي إلى الزاحف, مزجوا الكروموســـوم الخاص بهم في عروقـــي, حتى أصبح نصف إنسان ونصف زاحف, وبعد مسح ذاكرتي سوف أصبح معهم, وأصبح رجلهم, لم يكن أحد من الزواحف يعلم أنني قد وضعت كاميـــرا مراقبة بغرفتي, كاميرا دقيقـــة الحجم من صنعهم! لأني شـــعرت أن أحدهم يعبث بجمجمتي, عدة مرات, ولكني بالنهاية اكتشـــفت اللعبة, بعد أن تسببت في قتل بني جنسي من البشر, كنت أحضر لهم الوجبات الطازجة من السطح كما رأيت, متى اكتشفت الأمر؟ حســـنًا يا صديقي, المادة الأخيرة التي قاموا بحقني إياها، لم أكتشفها إلا بعد مرور الوقت, لقد مسحت ذاكرتي وأنستني أمر كاميرا المراقبة, ولكني اكتشفتها أخيرًا, بعد وصول ذلك النحيل, اكتشـــفتها في نهاية الطريق, وحقنت نفسي بالمادة المضادة للكروموسوم الزاحفي, الذي

كان منتشرًا داخلي, قام بعكسه, كنت مجرد دمية, تطيع فقط, وكنت أعتقد أنه واجبي! ولم أكترث لشـــيءٍ سوى أداء المهمة فقط, الزواحف كانت تختطف البشر منذ الأزل لإجراء تجاربهم عليهم, يريدون خلق عنصرٍ جديد أفضل من الزاحف, يجمع ما بين ذكاء البشر وقوة الزواحف, نجحوا في تخليق ذلك الجنس, وها هو الآن لم يتحمل أن يعيش في الخفاء, وظهر على السطح لاحتلاله ولمحاربة البشر أنفسهم, جيدون في التخفي والإلهاء! يمكنهم التلـــون والتخفي والتنكر, لقد صنعوا جيلًا جديدًا من البشر الزاحف, يمكنهم الفتك بالبشر..

هنا نطق (منتصر) وهو ينظر إلى الأرض, لا يستطيع النظر نحوي:

- أعلم ذلك الأمر!

أطلقت ضحكة ساخرة قائلًا:

- ورغـــم علمك! جمعت جنودك وأوهمتهـــم أنهم قادرون على الانتصار على ذلك الجنس, كنت تـــدرك ذلك الأمر، ورغم هذا أطلقت أوامرك لجنودك بدس القنابل بالأسفل للقضاء عليهم! وذلك ليس كل شـــيء, أطلقتهم لمحاربتهم وجهًا لوجه! وأنت تدرك (الكفة) الأقوى.

قال بصوتٍ خافت:

- أنت من أبطلـــت مفعول القنابل؟ أنت مـــن جعلت (كفتهم) الأقوى؟!

أطلقت ضحكة ساخرة قائلًا:

- هـــل كنت أدع القنابل تزيدهم قوةً أيهـــا البائس؟ ألا تعلم أن تفجير قنبلة في وجه الزاحف, يجعل خلاياه نشطة أكثر وأكثر، ويمكنه بناء جســـده من جديد, بناء جسدٍ أقوى, بل لا يمكنك إبادته بالأســـلحة العادية؟.. (السحلية) يمكن لأعضائها النمو بعد القطع.. إنهم يريدون ذلك الأمر, لقد طوروا أنفسهم, بخلط جينات حديثة متقدمة علـــى خلاياهم, ويعرفون مدى قوتهم, وسطوتهم و...

قال:

- وأنت اخترت كفتهم لأنها الأقوى؟

قلت بهدوء:

- أنا لم أختر كفة بعد! وأنت لا تصلح للقيادة.
- أما أنت فتصلح!

لم أجب, كنت أتطلع إليه طويـــلًا, بعدما خفي وميض العند الذي اعتلى وجهه لبعض ثوانٍ, قلت بهدوء:

- أنقذت حياتك اليوم! فعلت ما لم تفعله مع رجالك المخلصين, ســـوف أذهب الآن, لقـــد أخبرتهم أن يفكوا وثاقك, ســـوف يحضرون لك الطعام, لن أجبرك أن تأكل, الأمر عائد لك.

وقفت أمام بـــاب الزنزانة وطرقت ثلاث طرقـــات, أطل وجه أحد الزواحف, وهو يشرع بفتح الباب, وبعد أن فتح باب الزنزانة, أخبرته بجدية:

- أحضروا له الطعام, وفكوا وثاقـــه ليتمكن من وضع الطعام بفمه.

نظرت إلى (منتصر) وقلت:

- ستعلم قريبًا, إذا كنت أصلح للقيادة أم لا, وداعًا.

❊❊❊

ذهبت وتركت (منتصر) يصارع أفكاره, لا يعنيني كثيرًا ما تحدثة نفســـه عني! أمره لا يعنيني بالمرة, القائد الحق, هو من يحافظ على جنوده, دون أن يتخفى خلفهم, في انتظـــار انهزام الصفوف الأولى حتى يأتي دوره, يريد الموت, ولكن بشـــكلٍ أكثر مثالية, هذا ما يبدو! أنظر إلى القوم المتشحين باللون الأخضر, هؤلاء القوم كانوا يظهرون في الأفلام الأمريكية الكلاسيكية القديمة, كانوا يحظروننا آلاف المرات من تلك اللحظات, لكننا بالنهاية نقول بســـخرية, تلك أفلام, لا يمكنها أن تصبح حقيقة, لكنها أصبحت حقيقة مخيفة, الحقيقة المفزعة! أن كل تلك الأفلام واقعية أكثر من اللازم, كانت تقصد المستقبل وتسيطر على العقل, وتمهده رويدًا رويدًا لاســـتقبالها, خاطبوا الوعي, جعلونا نرهب تلك الكائنات قبـــل حتى رؤيتها وقد كانوا على حق تمامًا! إنهم في كل مكانٍ تقريبًا, صعدت إلى الأعلى, أحمل (شـــارة) يستطيعون من خلالها تمييز أنني أحمل رتبة مميزة داخل مجتمعهم, لأنني آدمي كامل, زرعوا داخلي كرومسومات الزواحف, لكنها لم تؤت ثمارها بعد,

بفضل المادة المضادة التي قمت بحقن نفسي بها, الزواحف في كل مكان بالمدينة, تعبث داخل المحلات دون إذن! يدمرون السيارات, يهشمون الزجاج, أسير وأراقبهم بعدم اكتراث, أحتمي بـ (الشارة) التي تلتصق بكتفي, هؤلاء آكلو لحم البشر الحقيقيون, أسير وسطهم وأشعر بالرهبة والخوف, ولكني أخفيه في جزءٍ بعيدًا داخل جمجمتي! في زاوية لا يمكن الولوج إليها, لكنها موجودة! اختفى البشر, حتى لو ظهروا, فظهورهم على استحياءٍ من خلال أشلاء مترامية هنا وهناك, أتمنى لو أدفنها, تكريم الموتى! ولكن لا أستطيع, هؤلاء لو علموا أمري لمزقوني تمزيقًا, ورموا فتاتي في كل مكان, وأصبحت مثلهم, مجرد أشلاء لا تحمل هوية, ولا أحد يكترث لها، أسير وأنا أعرف هدفي, أنظر إلى الثلاجة الكبيرة, ويقشعر بدني.. هدفي كان هنا، ويجب أن أذهب إلى هناك بأقصى سرعة وحذر, ويا للسخرية بمنتهى الهدوء والثقة!!

***

أمام الثلاجة الكبيرة..

فتح لي أحد الزواحف, بابها الزجاجي السميك ضد الرصاص, لماذا؟ بكل اختصار لقد حاول أحدهم اقتحام الثلاجة بقوة السلاحف، تغيرت تركيبة الباب بعدها, ينظر إلى (الشارة) التي كانت في كتفي بكل صرامة, كانت عيناه مخيفتين تشبهان عيني الأفعى, ولكني أمتلك سلطة جعلته يتنحى فورًا وكأنه رأى وحشًا من هيبة الرتبة, أسير بثقةٍ وأهبط إلى الأسفل حيث الأحواض الكبيرة, الأحواض التي

يبلغ مسحتها قرابة 40 مترًا, ثلاثة أحواض كبيرة, تحمل سائلًا وردي اللون, هو أشـــبه بالخمر, شرابهم المفضل! في انتظار حفلهم الكبير, أو عيدهم الكبير! ويشربون بعدها المشروب الذي كان نخب الانتصار, أراقب المكان بكل حذر, وأنتبه للتفاصيل البسيطة الصغيرة, لا يوجد كاميرات بالمكان, لقد كانوا يتمتعون بنرجســـية مفرطة, بعد إزاحة البشـــر, من الذي يجرؤ على دخول المكان المخصص لمشربهم؟ لا يحتاجون على الأقل في الوقـــت الحالي أدوات مراقبة الأفراد, امتلكوا السطح في أيامٍ قليلة, لكنهم سوف يمررون تكنولوجيتهم المتقدمة في كل مكان، هنالك زاحف ضخم اقتحم المكان في غضب, وأنا بالحوض الأخير, أنتبه له بكل كياني, والشك اقتحم جسدي بغتة بسؤالٍ مرعب؛ ماذا لو كان قادمًا من أجلي؟

❊❊❊

وفي تلك الآونة..

تحديدًا وأنا أسير نحو الأحواض لحظة، وما علمته فيما بعد.

كانوا يراقبونني بدقة, بعدما حرصـــت كل الحرص على إخفاء كل شيء, اقتحم أربعة رجال من الزواحف غرفتي, وقاموا بتفتيشها, وجدوا جهازًا أشـــبه بجهاز الراديو، كان المسجل الخاص بي, أداروا جهاز زر المشـــغل, يأتي صوتي يقول: "لم يفلحوا في تحويلي إلى الزاحف, لقد أدركت الأمر وعكست المادة التي وضعوها بعروقي, لقد وضعت كاميرا

دقيقة بغرفتي, لأشـــاهد ما يجري لي أثناء النوم, لأني أشعر أن هناك أمرًا مريبًا يحدث, لأســـتيقظ وأجد أنهم كانوا يتلاعبون بعقلي بالفعل, ويدســـون داخله مهمات, لأســـتيقظ وأقوم بتنفيذها دون أوامر, كانوا يمســـحون ذاكرتي بانتظام قبل النوم, أجروا لـــي عملية زرع جينات تخلص الزواحف, لخلق إنســـانٍ هو مزيج ما بين الزواحف والإنسان, إنهم يفعلون ذلك الأمر بروتينية, منذ الأزل, وأنا مستلقٍ قاموا يتخديري, يقولون أنني لم أتحـــول بعد لأنني لا أريد ذلك الأمر, ولكنهم لا يعلمون أمري بعد, وأنا لا أســـتطيع التوقف عن الهبوط إلى الأســـفل وإحضار البشر, لقد نســـيت أمر المسجل, واستسلمت لهم بعض أيام, لقد حدث خلل بعقلي بالتأكيد لكني أقاوم, وما زلت أقاوم, سوف أحطم....

أسقط أحد الزواحف المسجل ودهسه بقدمه الثقيلة, ثم أمر جنوده بالبحث عني في كل شيء.

الخبر وصل إلى قائد الزواحف المتخفي والمتحول لبشري لسببٍ لا أعلمه, وهو جالس على عرشه، فقال بعدم اكتراث:

- لا تقتلوه, أحضروه إلى هنا, وأدخلوه الزنزانة جوار صديقه, سيموتان غدًا, وسنضع رأســـيهما على أبواب المدينة, ترحيبًا بالضيوف.

***

هناك شيء ضخم خلفي..

التفت لأجده بالفعل هو ذاته الذي كان قد اقتحم المكان، والشـــك أصبح يقينًا, جندي من جنـــود الزواحف, يقول بصوتٍ عميق مخيف تقشعر له الأبدان:

- ماذا تفعل هنا؟!

أستعيد رباط جأشي وأقول بحزم:

- أحضر الطعام أيها الجندي.. ما شأنك؟

شبح ابتســـامة خبيثة وهو يقول بصرامة حسبتها يدًا تبطش بكل قوة:

- لا يوجد هنا سوى الشراب! ولمَ الثرثرة؟ صدر قرار باعتقالك وإحضارك للقائد, لا تزيد الحديث, لا تستطيع المقاومة، فأنت تعلم لمن الغلبة.

صوب شيئًا إلى عنقي، حاولت أن أتفاداه, لكني لم أستطع.

فدارت الدنيا من حولي.. وسقطت..

وقعت في قبضة الزواحف..

ولتكتب نهاية آخر البشر على تلك الأرض!

❊❊❊

وسقطت .

وقعت في قبضة الزواحف .

ولنكتب نهاية اخر البشر على تلك الارض

داخل الزنزانة.....

أمامي (منتصر)..

حر اليدين!..

أما أنا فكنت مقيدًا, قيدوني وتركوا (منتصر) حرًّا.. الوضع أسوأ داخل الزنزانة, مقيد في انتظار موعد الطعام, فعندما يأتي يفكوا القيد ليتمكن السجين من الأكل, وبعدها يعودوا لتقييده, رغم علمهم بأنه أضعف من أن يقاومهم, إنه نوع من أنواع القوة، التسلط والجبروت، الذل والقهر, وإذا أراد السجين قضاء الحاجة, يفكون وثاقه ليفعلها, لا يتمتعون بالإنسانية تمامًا.. (منتصر) جالس على فراشة, يداه خلف ظهره كأنه داخل منتجع, ينظر نحوي بسخرية, ولم يلبث دقيقة حتى هب من فراشة, وجاء نحوي بكل قوةٍ ثم هوى بقبضته على وجهي, وجهي يميل ناحية اليمين, أنظر إليه بغضبٍ متحملًا الألم, لا يبالي وهو يكيل لي الضربات ويصرخ:

- أنت خائن! أنت خائن.. يجب أن تموت, شاهدت جنودي يموتون أمام عينيك أيها الخائن.

أبصق الدماء من فمي ولا أنطق ثم أدعه يطلق ما في صدره وأتحمل ضرباته المتتالية التي لا أشعر بها، من قوتها وقسوتها أصبت بالخدر, أصاب جسدي البلادة, فلا أشعر بالألم , ضربة أخرى كسرت أنفي, وسال منها الدماء, هو يدرك بلا شك قوتي, ويعلم ويدرك أنني لو فككت وثاقي لأطحت به ودمرت رأسه, يجب أن أتحمل وأصمت, أحضر كرسيًّا صغيرًا, وبضربةٍ واحدة أسقطني أرضًا, وبقدمه يضرب بقسوةٍ

كليتي اليسرى, لو كانت كرة جلدية لتمزقت, الضربات تتوالى, وشعور الألم يتنقل من مكانٍ لآخر, إلى أن سقط من بنطالي جهاز صغير.

رآه وتوقف عن الضرب قائلًا بشغف:

- ما هذا الجهاز؟

يمسكني من شعيرات رأسي, أصبح وجهي متورمًا! قلت بخفوت:

- ستعلم فيما بعد!

يضرب رأسي أرضًا بعنفٍ وقسوة، أخذ يتأمل في الجهاز الصغير, لكني أستسلم لنومٍ أو غيبوبة مؤقتة, حقًّا سيعلم فيما بعد.

يستمتع بالانتصار الوقتي، ويجلس على فراشه دون حديث، يتطلع إلى الجهاز بدهشة, ويخشى أن يضغط على الزر الأحمر الذي ينتصفه, يتحدث كأنما يحدث نفسه:

- كنت أود تركك للموت, لكني فضلت إنقاذك لعلك تكون مفيدًا لنا, تلك هي المرة الأولى التي أخطـــئ وأختار رعديدًا جبانًا, أرتمي في أحضان العدو, وأفضل البقاء جوار الأقوى.

لا أملك حديثًا, لا أســـتطيع مجادلته! لا أستطيع منعه من الحديث, فأنا مجبر على سماعه:

- الآن.. ماذا حدث؟ هؤلاء القـــوم الذين ينتمون لمجتمع جوف الأرض, قرروا الصعود إلى الأعلى, قتلوا رئيس الدولة, واحتلو المناصب, من أجل أن يصعد شـــعبهم إلى الأعلى, كي يبيدوا الإنسان والإنسانية, ومن ســـاعدهم لهو خائن مثلهم, إنسان..

وأنت آخر إنسان خائن قد بقي حيًّا, سوف أقتلك.. لا تقلق, لكن ما يشغلني هو رائحتك بعد موتك, هم لا يبالون بدفن الجثث, ما يبقيك حيًّا، هو أن رائحتك بعد موتك سوف تحيا.

❊❊❊

لا يزال يتحدث إلى نفسه, موجهًا حديثًا غير مباشرًا لي:

- سوف يحتفلون بفوزهم على بني البشر قريبًا, ونحن بالأسفل نترقب الموت, سوف يحتسون مشروبهم، وبعدها سوف يعيثون في الأرض فسادًا, سينشرون جنسهم في الأرض, أرضنا كانت البداية, وها هي تقع في أيديهم بكل سهولةٍ ويسر, أرضنا كانت الأرض الأولى، ليتني أخرج من ذلك الحبس لأخبر الباقين بمدى قوتهم, ليتني أستطيع السفر لأخبرهم.

حدثت نفسي ساخرًا: "لتصبح قائدًا من جديد."

يقطع حديثه أحد جنود الزواحف.. أحضر لنا الطعام, ومن ثم ذهب, ليته جاء باكرًا ليقطع حديثه الممل, الممتلئ بسلبيةٍ قاتلة, ها هو (منتصر) يأخذ طعامه وطعامي ويدسه في فمه بكل نهم, قائلًا موجهًا حديثه لي:

- الموتى لا يأكلون.

وأخذ يجرع الماء في نهم, حتى فرغت الزجاجة داخل أمعائه, أشعر بجوعٍ صارخ لكني لا أظهر ذلك الأمر, وأريد جرعة ماءٍ صغيرة لأرتوي أو بعض القطرات, لكنه لا يبالي رغم علمه, وأخذ يربط على معدته في ظفر, وقبل أن يهب إلى النوم, نظر إلى النافذة التي لا تحمل سوى الليل والنهار، وقال:

- غدًا الاحتفال, احتفالهم الكبير.

أنظر إليه بعدم اكتراث، وأحاول أن أنام..

يجب أن أنام كي يستعيد جسدي جزءًا صغيرًا من طاقته.

فما هو آتٍ يستحق الانتظار والهدوء والترقب، وتحمل ذلك التعيس الوقح.

❊❊❊

قد ســـطعت شمس النهار أخيرًا بهدوء, كي تعطينا قليلًا من الأمل, نســـتمع إلى أصوات أقدامٍ ثقيلة تتحرك من هنـــا وهناك, بالخارج لا يصدرون صوتًا, خارج الزنزانة بالطبع, عند السابعة صباحًا سمعتهم يغادرون, نرى ظـــلالًا من النافذة الصغيرة, ظلالًا كبيرة وحشـــودًا كثيرة, علمنا فيما بعد, أنهم كانوا فـــي انتظار الباقين الذين يقبعون بالأســـفل, هناك حياة داخل جوف الأرض وهـــم في انتظار خروجها للنور, وهناك نوافذ كثيرة لخروجهم, كان يوجد منفذون فقط على تلك الأرض, مما يدل أن عددهم قليل مقارنةً بعددهم الأصلي داخل جوف الأرض, والأعداد القليلة لهي تمهيد لأعداد أكبر وأكثر كثافة مما نظن, العدد القليل من الزواحف اســـتطاع فرض السيطرة على بلده وعزلها عن الآخرين بطريقةٍ ما، ما بالك بالأعداد الغفيرة لهم؟! سيمســـحون البشرية عن الوجود.

خارج المدينة!

حقًّا أنا لا أعلم ما حدث خـــارج البلاد، لقد انقطعت الأخبار تمامًا عن البلاد الأخرى المجـــاورة, مما يوحي بالفعل أننا كنا البداية, بداية الهيمنة والسيطرة, من أجل نشر نفوذهم يجب أن تبدأ من بلدةٍ صغيرة,

حتى يتســـــنى لك أن تلتهم الكبيرة, مثل صعود السلم, ها هو يستفيق من النوم, وبنظراتٍ خاوية لا تحمل شيئًا, قال متسائلًا:

- هل بدأ الاحتفال؟

ابتسم في سخريةٍ قائلًا:

- ماذا ترى؟

ينظر نحوي بتعاطفٍ قائلًا:

- لماذا أتيت إلى هنا؟
- لتركل وجهي بالطبع.

أســـــرع يمد يده خلف فراشه, ليحضر زجاجة مياهٍ ملفوفة بقماشٍ ســـــميك, ليســـــرع نحوي ويضع فوهتها على فمي, وأنا مثل التائه في الصحراء، وجد أخيرًا جرعة مـــــاء, ألتهم الماء كأنه قطعة من طعامي المفضل، وما أن انتهيت، أبعدت الزجاجة:

- أن تهين قائدًا وتعبث معه يجب أن تلقى جزاءك, تلك الصفعات والكدمات كانت درسًا لك.

أقول بسخرية:

- لم يفعلها الزواحف؟
- ماذا تقصد؟

أغمض عينيّ في ألم, وأقول بعدم اكتراث:

- لن تفهم.

قال بحذر:

- ماذا فعلت ليأتوا بك إلى هنا؟

الأرض تهتز بفعل الاحتفالات, لقد كانوا بالخارج, جميعهم كانوا بالخـــارج, أصوات الأبواق ترتفع لتجعـــل (منتصر) يصمت ويجلس جواري يستمع, أنا ممتن له على أي حال, كدت أفقد الأمل في الحصول على جرعة الماء في وجوده, نستمع إلى صرخاتٍ تأتي من الخارج, لا أحد يستغيث، تلك كانت صرخات الانتصار, قلت بهدوء:

- أعطني الجهاز الصغير, وحاول أن تفك وثاقي.

أخرج الجهاز من جيبه قائلًا:

- ما فائدته؟ ولماذا؟

نظرت بصرامة أكثر وقلت:

- سوف تعلم كل شيءٍ عما قريب!
- لن أقوم بإعطائه إياك قبل أن تخبرني عن فائدته.

أصواتهما تدب الرعب داخـــل القلوب, وما زالا يصرخان حتى كاد حديثنا لا يسمع!

لن أطلـــب الجهاز مرة أخرى, فقد علم مـــدى أهميته من نظراتي الصارمة, سوف أنتظر إلى أن...

ينتهي كل شيء.

❊❊❊

ما علمته فيما بعد، وقوف زعيـــم الزواحف, يطلق خطبة جهورية قوية عن احتلال أرض البشـــر, وتلك كانت البداية لتطهير العالم من الجنس البشري, والجميع ممسكًا بالكؤوس, تلك كانت طقوسهم كلما انتصروا في معركةٍ ما, مجتمع الزواحف بأكمله يقف بمنتصف المدينة ويحملون الكؤوس, وها هم يجرعون بشراهة منقطعة النظير, ومنهم من يتجسد في هيئاتٍ بشرية ليرقص ويحتفل, ومنهم من يتجسد على هيئة حيوانٍ ما, ومنهم من يتجســـد على صورة زعماء الدول الغريبة, كان يومًا صاخبًا, انتهى باكتمال احتلال المنازل ومبنى هيئة الحكم.

***

لقد مر اليوم..

دون أن يحضر لنا أحد الطعام أو الشراب..

مما جعل (منتصر) يعلن شهامته بإعطائي جرعات الماء كلها..

اســـتمعنا نحن الاثنان إلى صوتٍ داخل الزنزانة (صرخات).. قال (منتصر) حينها:

- إنه لا يزال أحدهم يحتفل, وتأثير المشروب الوطني التابع لهم قوي للغاية لجعل الجنود كســـالى وغير قادرين على إحضار الطعام لنا.

الصرخات متفرقـــة وتأتي من كل مكان, وأحدهم يصرخ صرخات مكتومة لكن مسموعة كحشرجة ثورٍ قام أحدهم بذبحه.

قال (منتصر):

- يبدو أن مشروبهم قوي, ولن يستفيقوا منه إلا بعد أيام!

***

اليوم الثالث..

لا شيء..

ضرب (منتصر) الأبواب في يأس, لقد أصبح نحيلًا هزيلًا, ويلعن نفسه آلاف المرات على إعطائي جرعة الماء، يصرخ عبر النافذة ويطلب النجدة ولا أحد يجيب!

***

...

لا شيء..

لقد خارت قوى (منتصر) ليستسلم, أما أنا أصبح الشعور بالعطش مؤلمًا وأكثر قسوة, لقد فقدت وزني, وشعور الوهن مسيطر, حتى لم أستطع مقاومته، لا أحد بالخارج, لو يعلم (منتصر).

- أعطني الجهاز الصغير فورًا.

أسرع يخرجه بوهن رجلٍ عجوز، من جيبه فورًا, أمسكت الجهاز بوهنٍ أكثر وقمت بالضغط على الزر الأحمر الوحيد ليضيء مؤشرًا أعطى ضوءًا آخر بسيطًا, ابتسمت في سعادة, وحاولت قول جملة صغيرة:

- الآن ستعلم كل شيء.

***

الجندي (طلال)..

هل هو بالفعل؟!

(طلال) ينظر عبر النافذة بشغفٍ ويقول:

- سيدي القائد، هل أنت بخير؟ سوف أحضر أحدهم لفك الأقفال, لا تقلق.. كل شيءٍ سيكون على ما يرام, فقط تحمل قليلًا.

ما أن رآه (منتصر) حتى هب من سباته, وأسرع نحو باب الزنزانة وود أن يقبل قدم (طلال) قائلًا:

- شـــكرًا لك, شكراااا لك, أسرع.. أسرع وأحضر أحدهم.. شكرًا لك.

ينظر لي بعينين متسعتين، لا يصدق الأمر, ولا يستطيع تصديق أن النجاه آتية, أسرع يقول مثل رجلٍ عجوز طاعن في السن, رغم أن سنه لا يتعدى الأربعين بعد, لقد التصق خداه بعظام وجهه بالفعل:

- الجهاز كان استدعاءً.. لقد استدعيت الجنود, حقًّا كان؟

ابتسمت بألمٍ وقلت:

- جهاز تعقب, ليتعقبني (طلال).. اجلس سيأتي بالمساعدات.

يقول بهلعٍ: "أريـــد الماء, أريد الماء, فقط أريـــد الماء، أخبر هذا الجندي أني أريد الماء."

لم تمر العشرون دقيقة حتى جاء (طلال) معه المساجين والقليل من الجنود، أو ما تبقى منهم، المساجين والجنود وجدوا مكانًا معزولًا في الغابات ليحتموا به، إلى أن يأتيهم منهم استدعاء ليأتوا من جديد.

قد جاءني (طلال) في إحدى الليالـــي وأخبرته بالأمر بأكمله، وأن نجاتي معدومة!

وحينها قال لي: "لو لم تستطع وضع السم سيفعل هو."

وها قد جاء ليحمل معه رحيق الحرية وطوق النجاه الأخير.

السؤال الذي يطرح نفسه الآن..

أين ذهبت الزواحف؟

***

لقد كانوا في كل مكان..

بالفعل كانوا في كل مكان.

لكن أموات..

يفترشـــون الشـــوارع والميادين, وعلى أرصفة الطريق, وداخل المنازل...

ماذا حدث لهم؟

يمكنك تخمين أنني قمت بوضع السم القاتل داخل الأحواض, ولقد كنـــت محظوظًا حقًّا, قبل إلقاء القبض عليّ, وضعت القطرات الأخيرة في الحوض الأخير, كنت أستعد بعدها للموت, وأوقن أنني غير مراقب، لم يضعوا أدوات المراقبة بعد, لقد كان غرورهم هو السبب في نهايتهم والقضاء عليهم..

بعدها علمنا أننا كنا معزولين بحاجز من الفولاذ يلتف حول المدينة, فعلها الزواحـــف عندما احتلوا المناصب الكبرى, بقتل رؤوس المدينة من قائدٍ عسكري وزعيم الدولة, ومنها تم عزل الشعب عن كل شيء..

الخبر انتشر في كل مكان, وعادت الدولة رويدًا رويدًا إلى طبيعتها, وتم سد الفجوات السفلية, لغلق السبيل لعودة الزواحف مرة أخرى إلى الأرض, أو إلى السطح.

أما عني أنا!

قلدوني بقلادة الشجاعة وعدة أوسمة.

وتم رفض عرضهم للعودة إلى الصفوف العسكرية رسميًّا رغم أنه شرف لأي مواطن, ورغم إصرار القادة على عودتي مرة أخرى، لأتولى منصبًا رفيعًا بعدها، وعن رغبة شخصية.

لقد رحـــل الزواحف وتركوا لنا صغارهم، بالفعل كان هناك أطفال الزواحف التي لا تزال تحبو، والذين لا يشـــربون بالطبع مشـــروبهم القومي، تعليـــم صغار الزواحف, الذين ينتمون إلى البشـــر منذ تلك اللحظات الأخيرة، بعد القضاء على أجدادكم الذين يبغون الشر والقتل بكل شراسةٍ وقسوة, تركوا لنا صغارهم.

أبلغت الســـلطات بمنحهم الحق في الحياة، لعل وعسى أن يكون سبب نجاة جنس البشر فيما بعد..

وأنني ســـوف أشـــرف على تربية جيلٍ كامل منهم, داخل مدرسة الزواحف البشـــرية, وبعد مرور أكثر من خمسة عشر عامًا, زاد عمري

بالطبع, وانتشـــل الشيب رأسي, ذهب الشباب وحماسه بلا عودة! أنتم بذرة التعايش مع البشـــر، أنتم نبـــض المقاومة, لو حدث حرب بيننا وبينهم من جديد ســـوف تدافعون عنا وعن الوطن، لقد زرعت داخلكم بذور السلام, أنتم تحبون البشر.. دافعوا عن البشر بكل ما أوتيتم من قوة.

هذا كل شيء..

لقد طلبتم مني سرد حكايتي وها هي القصة بأكملها، وانتهى درس اليوم.

أســـتند على الطاولة، وأحضر عصاي, ثم أهم بالذهاب, لقد كانوا مذهولين بحق, والاندهاش يملأ ملامحهم الخضراء، أغلق الباب خلفي ليأتي زميلي الآخر كي يكمل درسه الآخر.

لتنتهي قصتي ودرسي لذلك اليوم الطويل.

كان طويلًا...

ولكنه ممتع.

تمت

ما بعد النهاية..

وفي دفتر مذكراتي الصغير..

كنت أرغب أن أكون شابًّا، صدقني أيها القارئ، لكنه إعصار الزمن الذي لا يتوقـــف مطلقًا، لنكمل ما فقدته عمـــدًا بالأعلى, بعض نقاط عمدت أن أخفيها عن الزواحف الصغار, مدرســـة الزواحف أصبحت ذات شـــعبيةٍ كبرى في زمني من عام 2055, لكنها محظورة للبشر العاديين, يعلمون بأمرها لكـــن من الخطر تعريض المواطن العادي, لمخلوقٍ يفوقه قوة, لكن في البداية, وبعد تقديمي لطلب عزل المدرسة لمنطقة بعيدة عن البشـــر, تم قبول الطلب فورًا, رغم شغف الزواحف بمقابلة البشر, كنت أعطيهم القليل من الأمل في ذلك الأمر, وبعد عدة تجارب لتحويل الزواحف إلى هيئةٍ بشرية, لا تنسوا ذلك الأمر, يمكنهم التخفي بأي هيئةٍ يرغبون, رحلات من هنـــا وهناك, في حافلةٍ كبيرة تحمل أطفالًا لم يبلغوا ســـن اثنتي عشرة ســـنة, هكذا كنت أمزجهم بالبشر على فتراتٍ قصيرة, وأطمئن قلبي, ولكنه لم يهدأ خشية ظهور الزواحف الأصليين..

النقطة الأولى: الزواحف لا تأكل البشر لأنهم يتقززون منهم بشكلٍ نافر, إذًا من هم آكلو اللحم؟

هم قوم قاموا باختطافهم الزواحف الذين يعتقدون في أنفسهم الذكاء, من الأعلى ليدسوا عبر عروقهم الوريدية سمًّا يجعلهم ينفرون من الطعام العادي ويرغبون في أكل بعضهم البعض, إذًا كانوا حقيقة لا تقبل التشكيك.. لقد كانوا بالفعل حقيقة كذبها (منتصر) ورفاقه الذين كانوا من آكلي اللحم بالفعل, وكانت خطتهم هي تدمير الزواحف أولًا, وكنت أنا شاكرًا أحضر البشر الطبيعيين من أعلى لتدس الزواحف في وريدهم العقار الجنوني، وكنت لا أعلم بالطبع! فقط كنت أساهم في تحويل البشر لقومٍ آخرين يقومون بالتهام اللحم البشري, ولست وحدي، فقد كان الزواحف تتخفى في زى البشر لإحضار البشر أيضًا، وتطلق رجالها إلى الأعلى لتخليصهم من البشر العاديين, الزواحف ترغب في إنهاء البشر عن طريق بشرٍ مثلهم, وآكلو اللحم يرغبون في الخلاص من الزواحف, بكل انتقام, يرغبون في قتل من حولهم إلى هيئةٍ حيوانية لا تشبع من أكل اللحم البشري.. الزواحف كانوا يرغبون في تحويلي إلى زاحفٍ مثلهم لكنهم فشلوا، وأنتم تعرفون السبب، لا داعي لذكره, ولماذا لم يقوموا بتحويلي إلى آكلي اللحم, لأني أفضل الموت على أكل بني جنسي, وكانوا أذكياء بالفعل, لم آكل بني جنسي بل حولتهم إلى آكلي اللحم ليقوموا بقتل بني جنسي, ذلك الأمر يغضبني كثيرًا.

النقطة الثانية الهامة:

(منتصـــر) كان من آكلي اللحم, ومن الزواحـــف أيضًا, لقد قاموا بعدة تجارب أثمرت عن شـــيءٍ عجيبٍ بهيئةٍ بشريةٍ خالصة, وقد كان يعلم بأمر اســـتبدال الرئيس منذ البداية, ويعلم كل شيء! لقد اختطفه الزواحف منذ البداية هو وفريقه, ولم ينج سواه, فالتجارب كانت قاسية بالفعل, نجا منهـــا بأعجوبة, هو مزيج عجيب ما بين الزواحف وآكلي اللحم, لقد كنت على حق بأنه لا يصلح للقيادة, النزعة السادية أنسته كل آدميته! هذا ما علمناه فيما بعد, بعد استجوابه, وقال الشيء الوحيد الذي منعه مـــن أكلي في الزنزانة، أنه كان يشـــعر بالتقزز من فكرة أكلي, كان على حق بالفعل يخشـــى قتلي لصعود رائحتي بعد موتي, الزواحف تتقزز من البشـــر وهم أحياء، ما بالك وهم أموات؟!! وتحول بالفعل لوحشٍ فظيع الهيئة, لم يعاني من العطش مثلما قال, وتحولت هيئته إلى النحول ليجاريني في الأمر ليس أكثر, بالنهاية "كان يشعر بالراحة لقتل قبيلة الزواحف"

ملحوظة أخرى (كان يمتلك القدرة على التحول) فعاد إلى طبيعته البشرية وقد بسط يديه ليضع الجنود الأساور الحديدية ويتقدم بنفسه إلى سجنه الأبدي, حاكم الزواحف كان يود الخلاص منه بالفعل, لكن أمهله ليشاهد بنفســـه انتصار الزواحف على قوم البشر, والآن وإلى وقتنا هذا موضوع في سجن من الفولاذ..

النقطة الأخيرة..

لقد ذكرت بالأعلى احتمالية عودة الزواحف إلى السطح من جديد، هل حاولت الزواحف العودة مرة أخرى؟ بالطبع عادت!

ولو سمح لي الزمن سأسرد تلك الأحداث المهولة بعد عودتهم، من يدري؟! ربما أسردها في دفتر مذكراتي يومًا ما.

من هم أجناس الزواحف بالأساس... ولمَ قدست الحضارات القديمة الزواحف؟؟

كثرت رموز وأشـــكال الزواحـــف التي تم اكتشـــافها من تماثيل وكتابات ومنحوتات في الحضارات القديمة والمختلفة عبر العالم من أقاصي الشـــرق إلى أقاصي الغرب، لدرجة أنها رسخت لدى الشعوب القديمة في المعتقدات والحكايات الأسطورية لديهم حيث يتم وصفهم لها بالأفاعي والزواحف، أو أن الإنســـان ينحدر أصله ونسله من نسل تلك الأفاعي..

والسؤال الأهم هنا:

ما هو ســـر وجود تلك الزواحف المختلفة في الحضارات القديمة داخل معتقداتهـــا ورموزها وأديانها وأســـاطيرها في كل مكانٍ من العالم... في مصر والصين واليابان وبابل واســـتراليا والهند والمايا والانكا.. وظهـــروا بوضوحٍ جدًّا في الآثار البابلية والســـومرية كأمم تعيش ويعرفونها؟؟

فالغربـــاء الزواحف: هم جنس من أعراق وأجناس ســـكان العالم الداخلي لجوف الأرض.. ولهم أجناس تعيش في أبعادٍ أخرى فضائية.. وسبب تسميتهم بالزواحف ((alien The Reptilians)) لأن لهم جلد يشبه جلد الثعبان أو السحالي، لذلك سموا بالزواحف، وأما ما دون ذلك فهم من السلالات البشـــرية العاقلة، لا يختلفون عن البشر في ملامح الجسد... وكما وضحنا سابقًا نشأوا من عدة أماكن وأقاليم؛ منها إقليم

يسمى علميًّا بالـ "AlphaDraconis" هؤلاء يتضمنون الزواحف التي عاشت خارج البعد الرابع (the 4th dimension).

بعض أجناسهم يسمون بالـ (Extraterrestrial Reptilians) منهم:

الدراكونيـــون (The Draconians) وهم جنس من أجناســـهم المســـمى، وبشـــكلٍ عام الدراكنيـــون يقومون بالغـــزو والحروب، يتســـللون إلى الخارج ويتطفلون على حياة المجتمعات الأخرى، فإن هـــذه الكينونات تفضل أن تتلاعب بالمجتمعـــات من خلف الكواليس وســـوف تغزو وتقهر المجتمعات بشـــكلٍ علني، إلا إذا تم تهديدهم بوســـائل التكنولوجيا المتطورة النووية (الدول العظمي مدركة لهذا الأمر، وحادثة روزويل من أحد الأمثلة).. ويبدو بشـــكلٍ كبير أن هذا الجنس مـــن الدراكنيون يعملون كحلف مع زواحف الوســـط الرابع (Interdimensional Reptilians).

هذا العرق يتراوح طوله بين 7 و 8 أقدام (245ســـم).. بعضهم يسكن تحت الأرض.. تم الإشارة إليهم في الكثير من السجلات.. بالرجل العث "Mothman"...

والمقصود بالبعد الرابع: هو البعـــد الغير مرئي لنا، أي الذي من خلاله لا نراهم بأعيننا المجردة مثل الجان وإبليس، ويتطلب رؤيتهم قـــدرات روحانية خاصة (أي مثل الســـحر).. أي أنهم لا يرون إلا عن

طريق السحر لاستحضارهم وهم أخطر الأجناس على الجنس البشري حتى أكثر خطرًا من الرماديين.

والزواحف قادرون على تغيير تردد الذبذبات الذي يفصل بين بعدنا وبعدهم (البعد الرابع) في المناطق التي تكون فيها التجارب النووية قد حدثت نتيجة للتغيرات في نسيج الزمان والمكان، بعض مجموعات من الزواحف interdimensional قادرون على الدخول بحرية، وترك لنا البعـــد مفتوحًا من خلال البوابات التي يخلقونها، من أحد الكوارث التي خلفتها التفجيرات النووية، بأنه تم تمزيق بعض هذه البوابات من قبل النبض الكهرومغناطيسي (EMP) التي تصاحب الأسلحة النووية خلال الحـــروب والتجارب النووية وظهورهم بكثـــرة من خلال تلك البوابات، ظهور الزواحف interdimensional ومركباتهم حول مواقع التجارب النووية تدعم هذه الفرضية بشده التي ذكرها (فيليب شنايدر المهندس في أنفاق دولســـي الذي اغتيل) وشرحها في أحد مؤتمراته، ومن الممكن أيضًا أن الزواحف خارج الأرض تستخدم تدفق الذبذبات والأبعاد كوسيلة من وسائل النقل، مجموعات أخرى منهم غير قادرين على دخول عالمنا بســـهولة ويجب أن تعتمد على وكلاء البعد الثالث لإحداث تغيير في هذا البعد... وكما أشرنا الزواحف الخارجة عن نطاق الأرض الفضائية، أي خارج نظامنا الشمســـي (Extraterrestrial Reptilians).. والدراكنيون أشرار حتى على الأمم الفضائية الأخرى وهم بدون مشاعر ولا أحاســـيس ويقومون بغزو المجرات المجاورة، ويتســـللون إلى خارج نظامهم الشمســـي ومجرتهم، كما يتطفلون

على حيـــاة المجتمعات الأخرى، فإن هذه الكينونات تفضل أن تتلاعب بالمجتمعات من خلف الكواليس وهي تغزو وتدمر المجتمعات بشكلٍ علني، إلا إذا تم تهديدهم بوســـائل التكنولوجيا المتطورة الرادعة لهم أحيانًا (الدول العظمى مدركة لهذا الأمر بعد حادثة روزيل، يقال أنهم ربما هم الذين أسقطوا ذلك الصحن)

وكلا العرقين يتم تغذيتهما على الطاقة البشرية ولهم القدرة على اســـتخدام الطاقة الروحية الصادرة من أدمغة البشر خلال التجارب البشرية الشديدة عاطفيًّا، مثل الحروب وغيرها من تجارب قوية تصدر منها طاقات وفيرة مثل تعذيـــب الضحايا حتى الموت (كالذي يحدث خلال التعذيب وتقطيع أعضاء البشر بوحشيةٍ وعنف).. هذه الأجناس تتغذى على المشاعر البشرية، تدور حول حاجتهم للطاقات المقدمة من الاستجابات العاطفية وقدرتهم على التعامل مع وعي الإنسان من خلال أدوات مثل: الدين، والقومية، والعنصرية، وغيرها من ظروف مشحونة عاطفيًّا، وهم قادرون على استفزاز البشر عن طريق الغضب والتوتر، والشعور بالذنب والانتقام، وخلق حلقة مفرغة للعواطف الصادرة أكثر كثافة من خلال النتائج المأساوية لهذه الصراعات، من أمثلتها؛ تزايد عدد حوادث إطلاق النار، لا معنى لها فـــي المدارس ومراكز الرعاية النهارية ومرافق البريد والعمليات الإرهابية والصراع العالمي، والإبادة الجماعية، واستخدام المخدرات، والانحرافات الجنسية والعنف بشكلٍ عام، هو نتيجة مباشرة للجوع من الزواحف.

ككل الأجناس الخارجة عن نطاق الأرض الفضائية (Extraterrestrial Reptilians) الزواحف تتواصل بالتخاطر، فإن قدرتهم المتطورة جدًّا على التخاطر الذهني، تسمح لهم بامتصاص الطاقات الصادرة من الأدمغة البشرية وحتى الفضائية أيضًا... ولك أن تلاحظ أن العديد من الأجناس مثل الرماديين، مرئية للأفراد والبشر العاديين الذين لا يمتلكون القدرات الروحانية الخاصة (السحر) وتم التقاط العديد من الصور لهم ومشاهد فيديو، لأن معظمهم يعيشون خارج البعد الرابع عكس جنس الزواحف، والمقصود بالبعد الرابع هو الذي من خلاله لا نراهم بأعيننا المجردة مثل الجان وإبليس، ويتطلب رؤيتهم قدرات روحانية خاصة (مثل السحر).

والدراكونيون أيضًا بارعون منذ زمنٍ طويل في تجارب التهجين... ونتيجة تجارب جينية سابقة من فصيلة زواحف الدراكونيين على جنس الرماديين عندما غزوهم وأرسلوا منهم أنواعًا إلى كوكب الأرض، كما أرسلت أنواعًا أخرى سابقة من تهجين سلالتهم.. وأكبر مثال على هذه الفصيلة هي (مخلوق تشوباكابرا) وتندرج عن مخلوق التشوباكابرا الذي سنوضحه لاحقًا..

وقد يبدو هذا الكلام صعب تصديقه لكن... بسبب قدرة جنس الزواحف العالية في السيطرة على العقول سواء كائن بشري أو حتى كائن فضائي، فقد كان الرماديون تحت رحمتهم سابقًا لأنهم أكثر تطورًا منهم وأيضًا أكثر تقدمًا تكنولوجيًّا، وذلك عندما تم غزوهم من

قبلها، وغزا الزواحـــف الدراكونيون كوكب زيتا والرماديون قبل قرون مضـــت، وأجبروهم على العبودية والطاعة، فقـــد طوروا فيهم القدرة على توارد خواطـــر مع الرماديين، من خلال زرع amplifyers توارد خواطر في أدمغة من الرماديين، تمكنوا من إدراك عقول الرماديين إلى جهاز الكمبيوتر، مركزي مصطنع، وهذا خلق الســـيطرة عليهم بشكلٍ مصطنع "الوعي الجماعي" حيث يمكن رصدها على الرماديين والتي تســـيطر عليها أسيادهم الزواحف، والرماديون كانوا غير قادرين على التكاثر بســـبب تلاعب الدراكونيين فيهم جينيًّا، وكان الرماديون لاحقًا يقومون بعمليات الاستنساخ من أجل أن يتكاثروا، والرماديون ليس في أجســـامهم أي جهازٍ هضمي أو تناسلي، وذلك بسبب التلاعب الجيني للدراكنيين ســـابقًا فيهم، ولإعادة الإنتاج والتكاثر، لا بد للرماديين من الاستنساخ للحفاظ على نوعهم من عدم الانقراض، ولكنهم عند تكرار عملية الاستنساخ مرارًا وتكرارًا، فإن الحمض النووي يبدأ في الانهيار مما يضطرهم إلى دمج فـــروعٍ جديدة من الحمض النووي في بلدهم وإيجاد مصادر خارجية من الحمض النووي للحفاظ على جنسهم من الفناء، مما يضطر الرماديين حاليًّا إلى خطف البشر كما يحدث وإجراء التجارب على أنظمتهم الإنجابية والتناسلية وأحيانًا خطف الإناث لزرع جنين فيها من أجل إنتاج ســـلالة جديدة مـــن الرماديين لهم القدرة على الإنجاب.. وهذا ما عرض اليوم في الفيديو... ويتغذى الرماديون بطريقةٍ معينة، هي امتصاص المواد المغذية عن طريق جلدهم، وتفرز

أيضًا من خلال الجلد كما قال (المهندس فل شـــنايدر الذي عمل في أنفاق دولسي واغتيل) في أحد مؤتمراته التي شرحها...

ولكن الأهـــم هو أن ما فعله الزواحف مع الرماديين... تم فعل مثله مع سلالات من البشـــر وبعلم حكومة الدجال للوصول إلى طبقةٍ عليا تســـيطر على الأرض وتضع نفســـها بمقام الآلهة.. حتى أن الأجهزة نفســـها التي زرعوها من قبل في أجناس الرماديين يتم وسيتم زرعها في البشر تحت اسم "شريحة الدجال" للتحكم في العقل والجسد عند تطبيق النظام العالمي الجديد والذي يحكمه الصفوة والعبيد في نظرية المليار الذهبي بعد حروب إبادة للتخلص من غالبية سكان العالم الذين لا تكفي الموارد لهم جميعًا... وتحت الديانة اللوسيفرية التي يسعون إليها.. أو عبادة الشيطان....

قد يرفض الجميع مبدئيًّا استيعاب مواضيع التهجين والتي سنحاول شـــرح بعض تفاصيلها وتهجين الدجال أساسًا للوصول إلى طفرات مثالية بعد أن توصلوا منذ زمن لحل الشفرات الجينية التي كانت تعد للآن من المستحيل خلطها بأجناسٍ أخرى... نعم.. الدجال في صورته الحالية قد يتخذ ضلالات مرئية كثيرة ولكنه شبه وحش مهجن.. والله تعالى أعلى وأعلم.

سما
للنشر والتوزيع